

## لغز الألوهية 5

د. جواد بشارة

### الطبيعي والخارق للطبيعة:

يعمل العلم في الطبيعة وضمن قوانينها وليس في الخوارق. في الواقع، أنا أذهب إلى حد القول بأنه لا يوجد شيء يمكن وصفه خارق للطبيعة أو من الخوارق. هناك فقط الأسرار الطبيعية والعادية والألغاز التي لا يزال يتعين علينا تفسيرها بالأسباب الطبيعية. إن استدعاء كلمات مثل "فوق الطبيعي" و "خوارق" هو مجرد بديل لغوي حتى نجد أسباب طبيعية وعادية، أو لا نجدها ونتوقف عن البحث لعدم الاهتمام. هذا ما يحدث عادة في العلم. تم دمج الألغاز التي كان يعتقد أنها أحداث خارقة للطبيعة أو خوارق - مثل الأحداث الفلكية أو الأرصاد الجوية - في العلم بمجرد فهم أسبابها.

تستمر العملية حتى يومنا هذا. على سبيل المثال، عندما يستدعي علماء الكونيات "الطاقة السوداء أو المظلمة" و "المادة السوداء أو المظلمة" للإشارة إلى ما يسمى بـ "الكتلة المفقودة" اللازمة لشرح بنية وحركة المجرات، فإنهم لا يقصدون أن تكون هذه الصفات تفسيرات سببية. الطاقة المعتمدة أو المظلمة والمادة السوداء المظلمة هي مجرد عناصر نائية لغوية عن عناصر ماتزال مجهولة لا نعرف ماهيتها الحقيقية حتى يتم اكتشاف المصادر الفعلية للطاقة والمادة الموصوفتان بالمظلمتين أو السودائين. عندما يستدعي المؤيدون، والكتابيون، ومنظرو التصميم الذكي المعجزات وأعمال الخلق من العدم، فهذه هي نهاية البحث عنها، في حين أن تحديد مثل هذه الألغاز والمشكلات بالنسبة للعلماء هو فقط البداية. ينتقل العلم من حيث يترك اللاهوت. عندما يقول مؤمن أو مؤيد للخلق "ثم تحدث معجزة"، كما صورت ببراعة في رسم كاريكاتوري المفضل لسيدني هاريس للرياضيين على السبورة مع الاستدعاء مدسوسًا في منتصف سلسلة من المعادلات، أقتبس من الرسوم المتحركة التسمية التوضيحية: "أعتقد أنك بحاجة إلى أن تكون أكثر وضوحًا هنا في الخطوة الثانية."

بالنسبة لأسلافنا في العصر البرونزي الذين خلقوا الديانات التوحيدية العظيمة، كانت القدرة على خلق العالم والحياة شبيهة بالله. ومع ذلك، بمجرد أن نعرف تقنية الخلق، يصبح الخارق للطبيعة طبيعيًا. وهكذا فإن مناورتي: الإله الوحيد الذي يمكن أن يكتشفه العلم سيكون كائنًا طبيعيًا، كيانًا موجودًا في المكان والزمان ومقيد بقوانين الطبيعة. إن الإله الخارق للطبيعة لا يعرفه العلم لأنه ليس جزءًا من العالم الطبيعي، وبالتالي لا يستطيع العلم معرفة هذا الإله. لا يوجد في العلم شيء اسمه القدرة الإلهية ومن غير الممكن للإنسان المعاصر أن يعتقد أو يصدق بإمكانية خلق كائن بالغ التعقيد كالإنسان بطريقة كن

فيكون في أقل من لمحة بصر بمجرد أن ينطق إله بهذه الجملة فيصير إنسان في هيئته الكاملة ناطق وواعي وذكي ومتحدث. هناك نوعان من الملحددين. واحد يقول لا يوجد إله. وآخر يقول إنه ليس لديه دليل مقنع على وجود إله. فلا توجد أية وسيلة لدحض وجود الإله، ولا أعتقد أن هناك شخص يمتلك حجة الدحض والعكس صحيح. غالباً ما يكون إثبات السلبية أمراً صعباً ومستحيلاً في بعض الأحيان. ولكن ربط الله بطوق وشعائر وأنبياء ورسل ومعجزات والملائكة، والسماء والجحيم، والشياطين، والتخيل، تحوّل الجوهر، والسحر، وطرد الأرواح الشريرة، وغيرها من خرافات الدين اليهودي والدين المسيحي والدين الإسلامي - ناهيك عن ادعاءات الديانات الأخرى التي هي سخيفة بنفس القدر، يجعله إلهاً غير مستساغ. العبارة التي تُسمع كثيراً عن توافق الدين والعلم هي مجرد وهم، حجة واهية يمكن هدمها بسهولة. ضع في اعتبارك: لا يقدم الدين أي دليل، ولا يملك دليلاً واحداً، ولا بيانات قابلة للاختبار، كجزء من ادعائه. في الواقع، وغالباً ما يواجه المشككون باستمرار بعبارة متعجرفة مفادها أن "الله لا يحتاج إلى إثبات" وبالنسبة للمتدينين، هذا كل شيء. من ناحية أخرى، يتطلب العلم أدلة وإثباتاً وبيانات قابلة للاختبار. هذان النهجان للواقع غير متوافقين تماماً، وفي تناقض مطلق. إن أتباع جميع الديانات المعروفة في العالم يشكلون معتقداتهم بالطريقة نفسها: كلهم يعتمدون على تقليد من المفترض أن يؤدي إلى نقطة ما في الماضي (عادةً ما يكون الماضي البعيد) حيث شخصية خارقة للطبيعة. تم الكشف عن الكيانات (الآلهة أو الأرواح أو الأجداد أو القوى الخارقة). ثانياً، تمحيص العمليات التي من خلالها تتطور المذاهب الدينية وتنتشر: الكشف عن الاعتبارات الاجتماعية والسياسية التي تشكل الممارسات الدينية للمتدينين. ثالثاً، المواجهة المباشرة لبعض المذاهب الدينية، خاصة تلك التي تؤكد على العناية الإلهية، مع حقائق حول الكون الذي نعيش فيه، ولا سيما الحقائق المتعلقة بتاريخ الحياة. على الرغم من أن العقود الأخيرة قد أضافت مزيداً من التفاصيل، إلا أن النقاط الرئيسية للقضية كانت بالفعل راسخة بحلول نهاية القرن التاسع عشر، مما دفع كلاً من ويليام جيمس الأمين والمخلص لإيجاد طريقة جديدة لتصوير الدين، وفي وقت لاحق في العشرينات من القرن الماضي، جون ديوي، إلى ادعاء واثق بأن الدين التقليدي كان في أزمة لا يمكن أن يأمل في التعافي منها (إيمان مشترك).

تتطبق القضية بشكل عام على جميع أشكال الدين التي تدعي وجود كائنات خارقة للطبيعة، ولكن تم تفصيلها بشكل كامل من قبل العلماء الأوروبيين والأمريكيين فيما يتعلق بالديانات - اليهودية والمسيحية والربوبية - التي كانت أكثر بروزاً بالنسبة لهم. يتوجب توضيح ذلك من خلال استقرار من الماضي، والتركيز على المسيحية. يعتقد العديد من المسيحيين أن الكثير من كتابهم المقدس صحيح حرفياً، ولكن، على الأقل، يحترم جميع المسيحيين الحرفيين عقيدة القيامة الأساسية. يدرس الجزء الأول من القضية

الأساس الذي قد يمتلكه أي شخص للاعتقاد بأن يسوع قام من بين الأموات. هناك احتمالان. قد يعتمد المسيحي على خبراته الخاصة، أو على تجارب الآخرين المنقولة بالتقاليد.

لقد تلقت التجربة الدينية بعض الدراسات الجادة، وليست كلها أخلاقية تمامًا، مثلاً، لنأخذ على سبيل المثال، تجربة سيئة السمعة أعطيت فيها مواد مهلوسة معروفة. من الواضح تمامًا أن عددًا كبيرًا من الناس يعتبرون أنفسهم لديهم تجارب دينية، وأن تواتر هذه التجارب يرتفع عندما يكون الناس متحمسين أو مضطربين، وأن السلطات الدينية كان عليها دائمًا التعامل مع مشكلة التمييز بين الأصيل وبين التجارب الناجمة عن الأوهام. على سبيل المثال، كان الصوفيون المسيحيون في العصور الوسطى بحاجة لأن يكونوا كذلك، وعلى غرارهم كان بعض المتصوفة المسلمين. تم التصديق من قبل المؤمنين على أن المسيح كان لديه وحي إلهي، والمعيار المستخدم للتمييز بينه وبين مدعين مثله هو الكشف: يتم الحكم على هؤلاء المصدقين وفقًا للأرثوذكسية السائدة. إن تطبيق هذا المعيار يعني بالطبع التخلي عن فكرة أن التجربة الدينية يمكن أن تكون شريكًا يقود إلى معتقد راسخ يعمل بشكل مستقل عن التقاليد الدينية. ما هو المعيار الآخر المتاح؟ المسيحيون الذين يقابلون يسوع، أو الذين لديهم إشارة الله أثناء قراءتهم الكتب المقدسة، لديهم نظراء في تقاليد أخرى وفي أديان أخرى. يشعر نظرائهم بوجود أسلاف أو أرواح، فهم يختبرون صدى الأحداث الخارقة للطبيعة أثناء زيارتهم للأماكن المقدسة. هناك شيء ما يحدث في كل هؤلاء الناس لا يفهمونه تمامًا، شيء مميز عما يشعرون به في المزيد من الحلقات الدنيوية، وهم يستوعبون هذه الشخصية الخاصة في الأنماط والمفاهيم التي زودتهم بها خلفيتهم الثقافية. لا يوجد سبب على الإطلاق للاعتقاد بأن مجموعة معينة لديها احتكار للوحي الذي يقدم الحقيقة حول ما هو فوق الطبيعي. في بعض الحالات، قد يكون علماء النفس قادرين على تقديم تفسيرات لما يتم الشعور به وقد يكونوا قادرين على شرح المزيد إذا سُمح لهم بالتدخل مع موضوعاتهم بطرق محظورة حاليًا بشكل صريح. ومع ذلك، فإن الحقيقة الواضحة للغاية هي أن التجارب المحيرة منتشرة على نطاق واسع، وأن أولئك الذين يمتلكونها يتطلعون إلى الأوصاف باستخدام مفرداتهم المفضلة. نفسها نتاج التقاليد الدينية التي واجهوها - وأن الجميع يعتقد أن معظم التقارير الناتجة تلوح بالويل لمن يحيد أو ينحرف أو يتزندق - وهي غير صحيحة تمامًا، إن لم تكن وهمية. قد يصير المسيحيون الذين يشعرون بالمسيح على أن وحيهم حقيقي، والآخرين خاطئون، لكن هذا مجرد اعتقاد دوغمائي - وطفولي - شاذ. ما لم يكن الإرث الثقافي الذي يرسمون عليه مبنياً على أسس جيدة، فإن تجاربهم لا تقدم أي أساس للاعتقاد. لقد أجرى عدد قليل من المتصوفة ما يعتبرونه محادثات مع المسيح القائم من بين الأموات، ولكن بالنسبة لمعظم المسيحيين، فإن الإيمان بالقيامة قائم على التقاليد الدينية الموروثة منذ زمن بعيد. ومنذ البداية رأى بعض أصحاب

الامتياز، تلاميذ يسوع، سيدهم بعد صلبه ودفنه، ونقلوا البشارة إلى الآخرين. على الرغم من الاختلافات والانقسامات التي قسمت الطوائف والكنائس، فقد تم نقل تلك الحقيقة المركزية إلى جميع المؤمنين، الذين ينسقون إيمانهم بشكل مبرر مع عملية موثوقة لنقل المعرفة عبر الأجيال. ومع ذلك، فشل هذا الحساب للمعتقد الراسخ في تمييز المجتمع المسيحي عن أي دين عالمي آخر. أولئك الذين يؤكدون أن أسلافهم يراقبون كل أفعالهم، أو تلك الأماكن المعينة مشبعة بالأرواح، تعتمد، بعدالة متساوية، على التقاليد المتوارثة من جيل إلى جيل. منذ زمن بعيد، في تاريخ القبيلة أو المجتمع، كان هناك وحي، وقد تم تقديمه بعناية وإتاحته لأحفاد أولئك الذين استمتعوا به في الأصل. مرة أخرى، الظروف متماثلة تمامًا، ولا يمكن إلا للدوغمائية أن تفترض أن مثالاً واحدًا معينًا للنمط العام - التقليد المسيحي، على سبيل المثال - الذي نشأ من خلال وحي حقيقي تم الحفاظ عليه دون تلف. الجبهة الأولى، التي تؤكد على التنوع الديني والتناظر المعرفي، توفر بالفعل فرصًا كافية للشك. تتعزز الشكوك عندما ينخرط المرء في الجبهة الثانية، مع الأخذ في الاعتبار ما نعرفه عن الطرق التي تنمو بها التقاليد الدينية وتتغير. تُظهر الدراسات السوسيولوجية للدين كيف أن الأديان الناجحة لا تنمو كثيرًا عن طريق إقناع أتباع جدد للحقيقة العقائدية، بل من خلال تلبية الاحتياجات الاجتماعية والنفسية. تكشف الروايات التاريخية التنوع الكبير في الطرق التي تم من خلالها التعبير عن دين موحد مزعوم، والاعتبارات السياسية التي شكلت التعديلات الحاسمة له. يكشف التحليل الأدبي للنصوص الكتابية عن تنازلات الماضي، والطرق التي تم بها وضع الروايات المتنافسة التي تفضلها المجموعات المختلفة جنبًا إلى جنب. شرح كبار علماء الكتاب المقدس في القرن التاسع عشر التناقضات الداخلية العديدة من حيث الحاجة إلى إرضاء الفئات المختلفة: تقدم أنجيل العهد الجديد روايات متضاربة لظهور يسوع بعد القيامة، ربما بسبب المجتمعات الصغيرة للحركة الناشئة في شرق البحر الأبيض المتوسط متشبثين بنصوص بديلة وتصورات شفوية لما حدث. تخبر الكلمات الافتتاحية في إنجيل لوقا القارئ المتأني صراحة أن هناك روايات متنافسة، ويوضح سفر أعمال الرسل وأهل غلاطية أن هناك آراء مختلفة جدًا حول كيفية تفصيل رسالة يسوع. لقد وسعت الاكتشافات في السنوات الأخيرة رؤيتنا للحركات المبكرة التي ادعت أن يسوع هو مصدر إلهامها، وغالبًا ما تواجه المسيحيين المعاصرين بعقائد تختلف بشكل مذهل عن الأرثوذكسية التي قدمتها كنائسهم. تكشف الدراسة الطرق التي تم بها تشكيل القانون وتعريفه بوضوح شديد ودور الضغوط الاجتماعية والسياسية التي بالكاد يمكن الاعتماد عليها في الحفاظ على الحقيقة البدائية المزعومة. لنأمل في واحدة من أبشع سمات العقيدة المسيحية، ألا وهي في العلاقات العامة، اعتبار اليهود مسؤولين عن موت المسيح. ومن بين العقبات الواضحة أمام مصداقية هذه القصة أن الإعدام نُفذ بالطريقة الرومانية (الصلب) وليس بالطريقة اليهودية. أي بطريقة (الرجم). لا يهم. يمكن تبرئة الرومان من خلال تقديم خيال مدعٍ حساس، متهم بإدارة العقوبة،

والذي يسعى إلى تحرير يسوع ولكن أحبطته الكراهية العنيفة التي أظهرها حشد من اليهود ضد "المسيح". للحصول على نسخة كاملة من الأسطورة، يمكن للمرء الاستماع إلى أجواء باخ الدرامية الرائعة فيآلام ومعاناة القديس جون St John Passion ("sondern Barabbam، Nicht diesen") ؛ "Kreuzige ihn!") . حيث بيلاطس يغسل يديه ويبرأ الرومان. ومع ذلك، فإن كل ما نعرفه عن الرجل والظروف والفترة يروي قصة معاكسة تمامًا. عُرف بيلاطس البنطي بقسوته كمسؤول، وتم استدعاؤه في النهاية بسبب تجاوزه؛ لم يُظهر أي حساسية أو تسامح تجاه العادات والأعياد المحلية؛ لا توجد عادة يهودية معروفة للإفراج عن أي مجرم خطير في عيد الفصح. لا يوجد سجل لأي مسؤول روماني كبير يكرم مثل هذه التقاليد المحلية. القصة مصنوعة من قماش كامل. لكن لماذا؟ ليس من الصعب العثور على الجواب، عندما ندرك أن مصدره المكتوب الأولي الباقي، إنجيل مرقس (الذي يحتوي على نسخة بسيطة نسبيًا، نسخة منقوشة في الأناجيل اللاحقة) تم تأليفه بعد الهزيمة الحاسمة لليهود مباشرة. في 70 م. لقد فقد فرع القدس لحركة يسوع الرجل الذي يبدو أنه كان زعيمها الأكثر جاذبية قبل عدة سنوات، ولعب دورًا سلبيًا في الكفاح اليهودي من أجل الاستقلال والحرب الرومانية اليهودية. من الواضح أن الجهود المبذولة لمواصلة حركة يسوع داخل اليهودية محكوم عليها بالفشل، وكان الأمل الأفضل يكمن في المجتمعات الصغيرة التي أقيمت (من قبل بول، من بين آخرين) حول البحر الأبيض المتوسط. كان على قادة الحركة العمل مع الرقباء الرومان، وإيصال رسالة لا تثير استعداد المتحولين المحتملين الذين اعتقدوا أنفسهم كمواطنين رومانيين. قصة بيلاطس تناسب الفاتورة. تأمل الآن الجبهة الثالثة، تقويم العقائد الدينية في ضوء ما نعرفه عن العالم. مثل العديد من الديانات الأخرى، تذكر المسيحية مجموعة واسعة من الأحداث المثيرة للفضول، والحلقات التي يبدو أن قوانين الطبيعة معلقة فيها: الماء يتحول إلى نبيذ، والأسماك تتكاثر، والمشلول يتأثر ويبدأ في المشي، والموتى يعودون للحياة. ما لم تكن لدينا أسباب وجيهة للثقة بالمصادر، فإن معرفتنا بالعمليات الطبيعية يجب أن تميل إلى الشك. علاوة على ذلك، فإن منظور أوسع لتاريخ عالمنا يلقي بظلال من الشك على العناية الإلهية الشائعة بين الديانات الأكثر شعبية في العالم. العناية الإلهية هي فكرة أن الكون قد تم تخطيطه من قبل خالق حكيم استثمره لغرض ما مجهول من قبل المخلوقات المحدودة المسكنة، قد يكون الغرض غير مرئي بالنسبة لنا، ولكن وراء هذا الاضطراب الظاهر، يعمل كل شيء في طريقه نحو الخير في النهاية. لقد تعرض هذا الفكر لضغط كبير من النقاد الواضحين، من العصور القديمة إلى الوقت الحاضر، لكن فهمنا الحالي لتاريخ الحياة يجعل من الصعب للغاية الحفاظ عليه. بمجرد أن نعلم أن الكائنات الحية كانت موجودة على كوكبنا منذ أكثر من ثلاث مليارات عام، وأن الكائنات متعددة الخلايا كانت موجودة منذ عدة مئات من الملايين، وأن الحيوانات القادرة على الشعور بالألم ظهرت، في تقدير متحفظ، منذ مائتي مليون سنة، وأن الهدف

المزعوم للمقاربة بأكملها - ظهور جنسنا - حديث نسبياً، غصين صغير على شجرة تطورية واسعة، بدأ التفكير في كل هذا على أنه حكيم والعناية الإلهية في تراجع. بدلاً من خطة واضحة، يبدو أنها قصة أشعث. يتعزز هذا الانطباع عندما ندرك أن المعاناة والألم الذي شعرت به أعداد هائلة من الحيوانات لمئات الآلاف من السنين، والبشر لما لا يقل عن خمسين ألفاً من السنين، ليست سمات عرضية للعرض بأكملها، أو حتى العواقب الجانبية التي لا يمكن تجنبها لمخطط تطوير مدروس جيداً، ولكنها تأصيلية للنص الذي اختار الخالق كتابته. يعد الاختيار الطبيعي سبباً رئيسياً للتغيير التطوري، وتتطلب أساليب عمله الانتشار والمنافسة والخسارة. إذا كنا نحن المخلوقات المحدودة الفقيرة في متناول اليد عند الخلق، لكان بإمكاننا أن نقدم للخالق الحكيم المفترض بعض النصائح الواضحة جداً ولكنها قيّمة جداً.

كما يقدر منتقدو داروين تقديرًا باهتًا، فإن أفكاره تلعب دورًا في القضية، لكنها جزء واحد فقط من حجة أكثر تعقيدًا - وأكثر إدانة بكثير. على الرغم من أنني أوضحت هذه الحجة من خلال النظر إلى نسخة واحدة من المذهب الفائق للطبيعة، وهي المسيحية، إلا أنها تنطبق بشكل عام، على باقي الأديان والمذاهب. يجب أن نستنتج أن قبول أي من مذاهب أي من ديانات العالم حول كائنات خارقة للطبيعة أو "غير طبيعية" على أنها صحيحة حرفيًا غير مبرر وغير معقول. فاسمع هذا الاستنتاج المهدد، عادة ما يحاول المدافعون عن الدين أحد طريقتين للخروج. أولئك الملتزمون بفكرة أن الدين يجب أن يكون محاولة عقلانية لتقليل ارتباطاتهم الخارقة للطبيعة. قد لا نكون قادرين على القول بأن يسوع قام فعليًا من الموت، تمامًا كما قد لا يتمكن الآخرون من الادعاء بأن الأرواح المحلية باركت قبيلتهم، لكن يمكننا أن نتشبه بشكل شرعي بفكر أكثر تجريدًا وغموضًا. ربما هناك عقل وراء كل ذلك. لكن هذا الرد غير كاف ويعتقد الكثير أنه يجب على المتشككين أن يسلموا للمؤمن الديني بأن التحقيق البشري في طبيعة الكون لم يكتمل، وأن العديد من جوانب عالمنا والإنسان وتجربته، حتى الآن، لا يمكن تفسيرها. ومع ذلك، يجب أن يصروا على أننا لا نخفي جهلنا بالتسميات، مع أخذ تجاربنا في الارتقاء، سواء جاءوا إلى الكنيسة أو فوق دير تينيرن، للإشارة إلى وجود شيء ما وراء ذلك. يتمثل النهج الصادق لهذه التجارب في إدراك أننا لا نفهمها تمامًا، وليس استدعاء فئة ما لتحل محل ما لا نعرفه. يمكن الجمع بين عدم الإيمان بمذاهب جميع أنواع المعتقدات الخارقة للطبيعة في العالم، إلى جانب الاتصال من المقولات التي توفرها لإخفاء افتقارنا للمعرفة، مع الانفتاح الحقيقي على احتمال أن التحقيقات المستقبلية قد تعالج جهلنا. - وحتى القيام بذلك بطرق تقدم كيانات تتجاوز قدراتنا الحالية. إن التصريحات العقائدية القائلة بأن هذا لا يمكن أن يحدث أبدًا (التي يقدمها الملحدون المغالين) سابقة لأوانها مثل المحاولات الفائقة للطبيعة لتطبيق فئة مفضلة - العقل الخلاق - على سمات العالم التي يجب أن يُعلن عنها بصراحة كما لو إنها لم تُفهم بعد.

المحاولة الثانية للفرار من القضية هي الاعتراف باستنتاجها وإعلان أن الدين لا يتعلق بالعقل. يتخطى الإيمان أحكام المعقولية، بل وربما يعكسها. أولئك الذين يفتخرون بالإيمان بما يعترفون به على أنه سخي لا يمكن، على ما يبدو، الوصول إليهم عن طريق اللجوء إلى الجدل. ومع ذلك، يمكن الكشف عن الطابع الأخلاقي للترامهم على حقيقته. إلى الحد الذي تؤدي فيه تأكيداتهم الدينية إلى استنتاجات تبعيتهم للآخرين، عندئذٍ، وفقًا لأي معايير عادية للسلوك الأخلاقي، يجب أن يُنظر إليهم على أنهم غير مسؤولين. حالما يتم قبول أن الأدلة تظهر أن الدين الخارق للطبيعة هو كوكبة من الأساطير، فإنه لا يمكن أن يوفر أي أساس لعمل مسؤول أكثر من أي عمل خيالي آخر. الأشخاص الذين يقبلون القضية، ويدعون أن السبب لا يهم وأنهم يقبلون كتبهم المقدسة ويؤمنون بها كما هي، يشغلون نفس المنطقة من الفضاء الأخلاقي مثل أولئك الذين سيقومون حياتهم في البيت في زاوية بوه The House at Pooh Corner - أو في كتاب كفاحي لهتلر Mein Kampf. هذا ليس مكانًا يجب أن يبقى فيه أي شخص.

لقد تم ضغط هذه الحجة بالضرورة، ويمكن تقديم مزيد من التفاصيل (وقد تم تقديمها). الاستنتاج الواضح، الذي توصل إليه العديد ممن يقدمون نفس المنطق، هو أن عالمنا سيكون أفضل إذا اختفى الدين منه. قد يفكر الناس بشكل أكثر وضوحًا، بعالم غير مثقل بالأساطير التي يؤمنون بها حاليًا، وستتحسن الحياة الأخلاقية إذا لم يعودوا ملزمين بالأحكام المسبقة التي تجسدها تلك الأساطير والانقسامات التي تثيرها غالبًا. من المنظور الأكثر تشددًا، الدين هو كومة من القمامة التي لا تزال مستمرة، يعمل كمصدر للعدوى للأشخاص الساذجين وهذا يفسد العالم الذي يعيشون فيه. هناك تقليد ديني، يكون فيه جيمس وديوي من الشخصيات البارزة، والذي يعترف بالقضية ويمضي في إعادة تفسير الدين. بدلاً من التفكير في الدين على أنه مسألة إيمان، فإنه يركز على المواقف الأخلاقية والمواقف النفسية الأخرى. يتمثل الفكر المركزي في أن بعض هذه الحالات والمواقف ذات قيمة، وعندما نكتشف أنها ترتكز على معتقدات خاطئة، بل وحتى سخيفة، فإن المهمة لا تتمثل ببساطة في القضاء على القناعات الخاطئة ولكن أيضًا في إيجاد طرق بديلة للحفاظ على ما هو ثمين قدر الإمكان. يُنظر إلى الدين على أنه يخدم وظائف مهمة، في حياة الأفراد وفي المجتمع البشري، ويتمثل التحدي في أداء هذه الوظائف بأفضل ما نستطيع، مع القضاء على الأساطير في نفس الوقت. شيئين يجب القيام بهما. أولاً، يجب أن تكون هناك مساحات يتم فيها تأسيس الإحساس بالمجتمع، وأماكن تتيح الفرصة للعمل الأخلاقي المشترك، والمناسبات التي تتيح الفرصة لمناقشة أعمق قضايا الحياة الفردية. ثانيًا، يحتاج كل منا إلى حساب عن نفسه وما هو ذا قيمة، شيء يمكننا أن نوجهه ونعيش بواسطته. لا يوفر المجتمع العلماني في الولايات المتحدة سوى القليل عن طريق الإطار المؤسسي الاجتماعي، والفكر العلماني يبتعد عن السؤال التقليدي، الذي طرحه

الإغريق في فجر الفلسفة، حول ما الذي يجعل الحياة البشرية، رغم كونها محدودة، مهمة. وجدير بالاهتمام. هذه ليست نواقص لا مفر منها. كما رأى جون ديوي، قد يتم تصميم وبناء أشكال المجتمع العلماني، ويقدم لنا الفنانون والكتاب أدلة حول إمكانيات الوجود البشري. مشاكل الأهمية المجتمعية والفردية ليست غير قابلة للحل من الناحية العلمانية. إنها ببساطة لم يتم حلها - لم يتم حلها لأنها تم تجاهلها. لن ينجح أي دفاع عن الكفر، مهما كان بليغاً، في الثورة العلمانية حتى يتم الاعتراف بهذه الحقائق. إن القضاء المؤقت على الخرافات، غير المصحوب بالاهتمام بالوظائف التي يخدمها الدين، يخلق فراغاً يمكن أن تتطفل فيه أكثر الأشكال فظاظاً من الأساطير الحرفية على نفسها بسهولة - وهذا هو تاريخ الدين في أمريكا منذ زمن بعيد. "أزمة الدين" حتى الوقت الحاضر. أولئك الذين تركوا الكنائس التي كانوا يرتادونها في يوم من الأيام يجيدون تذكر المجموعة الكاملة من التجارب التي استمتعوا بها هناك، والتفكير في طرق لفصل ما هو ثمين عما يفسده حتماً الأكاذيب والسخافات. يمكن للأماكن المتبقية التي لا يزال الدين غير الحرفي أن يزدهر فيها يمكن أن توفر الإلهام لشكل من أشكال الحياة ما بعد الدينية التي لديها فرص أكبر للبقاء: إنسانية علمانية تؤكد على الإنسانية وكذلك العلمانية. وأنا أفضل الأسباب التي تركز على العلم بدلاً من تلك التي تركز على الاهتمامات الفلسفية أو الأخلاقية. على سبيل المثال، لنأخذ السؤال عن كيف يمكن أن يكون إله كامل الصلاح مسؤولاً عن عالم يعاني من الكثير من المعاناة مثل عالمنا. مشكلة الشر هي أشهر سبب فلسفي للكفر، ولا يزال صداها حاضراً حتى اليوم. ومع ذلك، ربما هناك عوامل خارقة للطبيعة مسؤولة، لكنهم لا يهتمون برفاهية الإنسان تماماً بالطريقة التي تصورتها معظم النظريات. نقاشات الشر مثيرة للاهتمام، لكن يجب أن يتسع نطاق الجدل. لا أعتقد أنه يمكننا الاعتماد كثيراً على الفلسفة التقليدية للمساعدة هنا. ضع في اعتبارك جهود الملحنين للكشف عن بعض التناقض في مفهوم الله، على سبيل المثال، لإظهار أن القدرة المطلقة لا معنى لها. 2. عندما أقرأ هذه الحجج بعين ناقدة، يمكنني بسهولة رؤية الثغرات. لا أريد أن أقول إن مثل هذه الجهود خارج نطاق الموضوع. إذا كان اللاهوتيون لا يستطيعون أن يكلفوا أنفسهم عناء صياغة أفكار متماسكة عن آلهتهم، فيجب على شخص ما أن يبقوهم صادقين. ولكن هناك أيضاً جو من العقم حول الفلسفة التقليدية للدين. نحن بحاجة إلى تغيير في التركيز. الانتقادات الأخلاقية للدين، على الرغم من كونها رائعة، إلا أنها لا تذهب بعيداً جداً. في البيئات الدينية، يعاني غير المؤمنين من الشك في أنهم قد لا يكونوا أشخاصاً لائقين. هذا أمر مزعج. يعجبني عندما يتخذ غير المؤمنين موقفاً قوياً ضد هذا النوع من الهراء. ومع ذلك، فإن اتهام غير المؤمنين للدين بجميع أنواع الشرور الاجتماعية والعنف يكون أقل ثراءً. هناك بعض الحقيقة هنا، ويمكننا جميعاً استخدام تذكير بأن الدين ليس كل شيء فيه حلاوة ونور. ولكن إذا كنا نناشد إجماعاً أخلاقياً ليبرالياً حديثاً لإدانة العنف الديني، فعلينا أن نتذكر أن هذا الإجماع هو من عمل



المتدينين الليبراليين بقدر ما يفعله الإنسانون العلمانيون. وحتى المقارنة الأوسع بين المتشككين والمؤمنين الحقيقيين ليست مفيدة. كيف نسجل توركويماداس Torquemadas من جهة وستالين من جهة أخرى؟ حسب عدد الجثث؟ إذا كان بإمكان الملحدين أن يتبرأوا من الستالينية باعتبارها انحرافاً شبه ديني، فماذا عن المسيحيين الذين يصرون على أن الاستبداد الكاثوليكي يخون الحب المسيحي؟ كل تقليد سياسي هام ملطخ بالدماء، بما في ذلك علمانية التنوير التي أتعرف عليها.

أسباب علمية:

أعتقد أن أفضل أسباب الشك تأتي من علومنا، من أفضل ما لدينا من معارف حديثة حول كيفية عمل العالم. يمكن لغير المؤمنين تقديم حجة تعتمد على الفيزياء وعلم الأحياء التطوري وعلم الأعصاب الإدراكي والتاريخ النقدي وغير ذلك من التخصصات، كخطوط تمس الدين.

لا يتفق الجميع على أن مثل هذه الحجة ذات صلة. يعتقد الكثيرون أن العلم يتعلق بحقائق الطبيعة، والدين يتعلق بالمعنى والأخلاق. أو ربما تطرح الأديان المتطورة ادعاءات حول الحقائق الميتافيزيقية النهائية، وهي ادعاءات لا يمكن الحكم عليها من خلال العلم. كيف، بعد كل شيء، يمكننا إجراء تجربة على كائن لانهائي؟

أعتقد أن هذه الاعتراضات تحرف العلم والدين. العلم ليس مجرد نشاط يتم إجراؤه أثناء ارتداء معاطف المختبر البيضاء. وحتى أكثر الميتافيزيقيا تهوية يمكن أن تخضع لبعض فحوصات الواقع. قد تتضمن المعتقدات الخارقة للطبيعة فكرة أنه يمكننا التفاعل مع الأرواح غير المجسدة، أو أن الكون هو تصميم إلهي، أو أن الإبداع لا يمكن اختزاله إلى مجرد فيزياء. كل هؤلاء عرضة للنقد من خلال التحقيق والبحث. عندما نقوم بذلك، نجد أنها، خاصة بعد ظهور العلم الحديث، تعلمنا الكثير من الأمور ذات الصلة. لقد وجدنا أننا نعيش في عالم شاسع غير مجسم الشكل لا يعطي أي علامة على وجود أي إله مسؤول. في الواقع، أصبح العلم يطالبنا بالتخلي عن الكثير من التعلم. في العمق، لا يعمل العالم وفقاً للتوقعات البديهية التي تخدمنا جيداً في حياتنا اليومية. تأتي تكييفات بيولوجية رائعة من خلال عمليات طائشة. حتى مفاهيمنا عن السببية تنهار في العالم العشوائي لميكانيكا الكموم. وعلى الرغم من أن هذا يتعارض مع بعض البديهيات البشرية المشتركة على نطاق واسع، يبدو أننا لسنا بحاجة إلى عوامل خارقة لشرح أي شيء عن عالمنا. هذا لا يعني أن العلم والدين أعداء. إن تاريخ العلاقة بين المؤسسات العلمية والدينية أكثر تعقيداً بكثير. حتى اليوم، يحافظ المجتمع العلمي على عدم الإيمان بعيداً عن الاعتبارات الأيديولوجية الدينية، ومع ذلك، فإن النزعة الطبيعية للعلم الحديث وتعارضه الفكري مع المعتقدات الخارقة

والخرافية أمر حقيقي للغاية. لم ينزل العلم فقط ضد نقوش الخشب والعين الشريرة. كما أُلقت بظلال من الشك على النفوس الخالدة، وتصميم وخلق الآلهة، ومصادر المعنى الفائقة. في الصورة العلمية الواسعة الحالية للواقع، تبدو جميع العوامل الخارقة للطبيعة في غير محلها. هناك طريقة علمية يتم تناقلها من الأعلى وهذا هو المعيار الذي يتم من خلاله الحكم على جميع الادعاءات. يستخدم العلماء العديد من الأساليب، ويتجادلون أيضًا حول أساليبهم ويراجعونها، على أمل تحسين قدراتهم للتعرف على ما يبحثون عنه. أعتقد أن الأساليب التي يتم استنباطها من خلال معرفتنا الطبيعية على نطاق واسع تعمل بشكل أفضل. على أي حال، فإن أفضل الطرق لاكتساب المعرفة تعتمد على طبيعة عالما. تعد النقاشات حول الأساليب جزءًا من الجدل الأوسع حول الطبيعة والطبيعة الفائقة. لا نحتاج إلى التوصل إلى استنتاج صارم حول الأساليب قبل أن نبدأ في الالتفاف حولنا. كل هذا يبدو معقدًا، وإلى حد ما هو كذلك. لكن في كثير من الأحيان، تكون الطريقة التي تعطيها الادعاءات الخارقة للطبيعة قبل الفهم العلمي واضحة إلى حد ما. تأمل في العشوائية الأساسية في ميكانيكا الكموم، فهنا الحالي الأساسي للفيزياء. بما أن العوامة هي افتقار كامل للنمط، فلا يمكننا استنتاج أي سبب أو هدف وراء الأحداث الكمومية. يشير المفكرون الدينيون، بشكل صحيح، إلى أنه لا يزال من الممكن أن يكون الله قد رتب لأحداث عشوائية حتى يمكننا استخدام الصدفة لغرض ما، على سبيل المثال، إذا قمنا بقلب عملة لنقرر بإنصاف من سيغسل الأطباق الليلة. ولكن إذا كان هناك مثل هذا الغرض وراء الفيزياء، فلا يمكن استنتاجه من بيانات الفيزياء وقوانينها. يجب أن نتراجع الحجج عن الله عن مجال العلوم الفيزيائية. ولكن بعد ذلك، يحدث الشيء نفسه في علم الأحياء وعلوم الدماغ والتاريخ البشري والعلوم الاجتماعية. أصبح احتمال عدم وجود سبب أو هدف نهائي وراء الفيزياء هو الخيار الافتراضي بشكل متزايد. علاوة على ذلك، تساعدنا العشوائية في الطبيعة أيضًا على تفسير الإبداع والذكاء، سواء مع التطور الدارويني في علم الأحياء أو في علم الأعصاب الإدراكي. يتم شرح الأشخاص والأغراض بشكل متزايد داخل عالم مادي فقط. حينها يصبح الله غير محتمل. والآن، ليست أي من الذرائع التي تُولف حجة علمية ضد الله قاطعة. الطبيعة العلمية هي نظرية واسعة جدًا وطموحة جدًا حول عالمنا. مثل أي نظرية، قد تكون خاطئة. ومثل نظريات الإطار العريض المهمة جدًا في العلم الحديث، مثل ميكانيكا الكموم أو نظرية التطور، لا تتمتع الطبيعة بأي دليل مطلق. كما إن ذلك لا يشير إعجابنا بالطريقة التي تفعلها الحقائق اليومية الواضحة. علاوة على ذلك، فإن المذهب الطبيعي هو عمل مستمر. في العديد من المجالات، مثل شرح العقل البشري، يشير علماء الطبيعة إلى بعض التقدم والآفاق الجيدة لمزيد من التقدم، بدلاً من نتيجة كاملة. ومع ذلك، في كثير من أركان الحياة الفكرية يعتبر النهج الطبيعي الآن أمرًا مفروغا منه باعتبارها الطريقة الصحيحة

للمضي قدمًا في هذا المجال. وليس من الصعب الاعتقاد بأن هذا صحيح لأنه لا توجد حقائق خارقة للطبيعة.

ربما لا ينبغي أن نجهد كثيرًا لتوضيح كيف أن الطبيعية هي خيار فكري رائد اليوم. من الممكن اعتبار المذهب الطبيعي كخلفية لا جدال فيها في ثقافة فرعية علمانية. بعد كل شيء، العديد من المسيحيين المنغمسين في ثقافتهم الدينية يعتبرون أن الكتاب المقدس معصوم من الخطأ. ربما يفعل غير المؤمنين شيئًا مشابهًا. في الواقع، أواجه بانتظام اتهامات بأن غير المؤمنين العلميين يتبنون وجهة نظر العلم التي تقترض صحة المقاربة المادية للطبيعة، وأنا منغلَقون على الاحتمالات الروحية، أمام طرق أخرى للمعرفة. ربما لا ينبغي الاقتراب من الله من مسافة بعيدة، من خلال التحليل المنفصل النموذجي عن العلوم الطبيعية والفلسفة العلمانية. يتطلب التعامل مع الله كعلاقة شخصية. يتم الكشف عن الخوارق من خلال الحياة الدينية للصلاة والتكريس. في مثل هذه الظروف، يمكن أن يصبح الله حقيقيًا بشكل ملموس مثل الحقائق اليومية. علاوة على ذلك، تتألق تلميحات من الحقائق الواعية عندما نعجب بالتضحية بالنفس من قبل القديس، أو نفكر في الفن العظيم، أو حتى عندما نواجه لغز لماذا يجب على الكون أن ينتج كائنات واعية مثلنا. من هذا المنظور، ستظهر الحجج العلمية ثانوية. يبدو أن الدافع وراء عدم الإيمان هو التزام أخلاقي، بديل لمفهوم متمحور حول الله كهدف أسمى لوجودنا. ليست النجاحات الحقيقية ولكن الضيقة للعلم هي التي تحفز على عدم الإيمان، ولكن ما يرضي مفهوم الذات باعتباره عارقًا غير مندمج حتى للحقائق غير المريحة. هناك بعض الحقيقة النسبية موجود هنا. الكثير من عدم الإيمان يحركه العقل الأخلاقي ربما بدلاً من الحجج العلمية والفلسفية. يبقى عنصر القناعة الأخلاقية ذا تأثير إلى جانب القناعات العلمية. إذا طلب مني أحدهم اعتناق الإسلام أو دعوة يسوع إلى حياتي، فسأرفضهم ليس فقط بسبب عدم معقولية ادعاءاتهم، ولكن أيضًا لأنها تنتهك تصوري الذاتي العلماني. إذا لم تكن هناك أشباح أو آلهة، فمن المرجح أن تتعثر النظرة الأخلاقية التي تدعم العقل المنفصل عن هذه الحقيقة. يمكن لمواقفنا الأخلاقية أن تقربنا من بعض الاحتمالات. لكن هذا لا ينبغي أن يحدث - يمكننا أن نحاول أن نكون منفتحين، لاستخدام أفضل ما لدينا من معلومات لمعرفة ما إذا كان من المحتمل وجود أي واقع خارق للطبيعة. نحن لا نبدأ في معرفة ما هي الأساليب والمواقف التي ستعمل بشكل أفضل. يمكننا فقط أن نبدأ من حيث نحن، وننتقل ونأخذ ما تعلمناه على محمل الجد بينما ندرك أيضًا وجهات النظر المختلفة. يمكننا مراجعة أساليبنا وتوقعاتنا. في هذا السياق، يمكن للحجج ضد الحقائق الخارقة أن تقف وحدها. يمكنهم حتى الوقوف بعد سقوط بعض السقالات الأخلاقية. بمرور الوقت، أصبحت متناقضًا بشأن علمانية التنوير التي ورثناها، وآمل أن نكون أكثر وعيًا بالتعقيدات والعوامل

الجدابة المشروعة لأساليب الحياة الدينية. في الوقت نفسه، تعمقت وجهة نظر الكثير من العلمانيين الموسعة للعلم وتشكيكهم فيما هو خارق للطبيعة. كان هذا إلى حد كبير بسبب الحجج، وليس القناعات السابقة بخلاف تلك الحجج التي يجب أخذها في الاعتبار.

## علم الدين:

أعتقد أن الحجج التي تركز على العلم لها أهمية خاصة، لأن البحث كان من الممكن أن يدعم المعتقدات الخارقة للطبيعة. في العصور الحديثة المبكرة، اعتقد العديد من العلماء أن علومنا الجديدة ستوضح كيف أن الطبيعة هي من خلق الله. كان من الممكن أن نجد سحرًا خفيًا أو تصميمًا إلهيًا في العالم. بدلاً من ذلك، أصبحت العوامل الخارقة للطبيعة غير ذات صلة ليس فقط بالعلوم الطبيعية ولكن بأي مشروع جاد لتعلم شيء عن العالم. قد يقول اللاهوتيون أن الوجود الإلهي الواضح من شأنه أن يتعارض مع حرية الإنسان، لكن مثل هذه الأعداء تسلط الضوء فقط على أن الطبيعة لا تقدم لنا أي دليل على وجود الله. علاوة على ذلك، ما كان يُعتقد أنه يتجاوز الطبيعة المادية - التاريخ البشري والخبرة، ربما - لم يعد يبدو وكأنه استثناء - يكون منشؤها الدافع العلمي لدراسة البشر، بما في ذلك ديانتنا للخبرات داخل الطبيعة. السبب المنفصل ليس تلقائيًا في مثل هذه المهمة. نحن بحاجة إلى مسافة حرجة إلى حدسنا.

بعد كل شيء، فإن فيزياءنا البديهية التي تنطوي على رمي صخرة أو تسلق شجرة تفشل بشكل مذهل في تجاوز كل شيء. في هذه الظروف. يميل بنا علم الأحياء الحدسي نحو الخلق. لا ينبغي لنا أن نؤكد تلقائيًا على علم النفس البديهي أيضًا، خاصة وأن آليات الدماغ المرتبطة بالتجربة والحدس هي ما نحتاج إلى التحقيق فيه. بعبارة أخرى، يحتاج علماء الطبيعة العلميون إلى علم نفسي متطور للدين، تمامًا مثل غير المؤمنين قبل أن يحتاج داروين إلى نظرية مثل التطور. ليس لدينا علم دين كامل ومقنع حتى الآن - فهذه واحدة من تلك المجالات التي يتم فيها بناء المذهب الطبيعي. ومع ذلك، هناك بعض الأبحاث الحديثة الواعدة حول التطور والعلم المعرفي للدين. وسيؤثر هذا العمل بشكل متزايد على النقاشات حول ما هو خارق للطبيعة. في الواقع، يعد البحث الحالي عن الدين جزءًا من مشروع أكبر لفهم الثقافة والمعنى داخل الطبيعة، وليس كنوع من الواقع الأسمى.

مثل هذا البحث يقوي القضية ضد الحقائق الخارقة للطبيعة. لكن أهميتها بالنسبة للكفار أكثر غموضًا. عندما نكتشف كيف أن الإيمان الخارق متجذر بعمق في الإدراك البشري الطبيعي وفي عقله الخرافي،

يصبح من الصعب توقع أنه مع المزيد من التعليم والأمن الديني، ستتلاشى المعتقدات الخارقة للطبيعة. الدين المنظم كما نعرفه سيتغير بلا شك. ولكن من غير المرجح أن يتلاشى الإيمان بالحقائق الخارقة للطبيعة ولا أساليب الحياة التي تتمحور حول مفهوم الله. ماذا يقصد بـ الله؟ عندما يحاول الملحدون شرح سبب عدم إيمانهم بالله، فإنهم غالبًا ما يفكرون في تعريف القاموس: "الكائن الأسمى، خالق الكون وحاكمه." 1 هذه هي وجهة نظر الله التي يتبناها مرتادي الكنيسة العاديون. قد يذهب أو لا يذهب إلى حد إشراك رجل عجوز مُجهز بلحية بيضاء كبيرة وميل لمعاقبة المذنبين، لكنه يصور الله ككائن واعٍ بلا شك - ممثل في العالم، بفكر وبالحوافز. كائن موجود خارج قوانين الطبيعة التقليدية، ويرى أحيانًا أنه من المناسب انتهاكها. فكرة الله هذه تستحق المواجهة، حتى لو كانت مقبولة من قبل بلايين البشر في جميع أنحاء العالم. إن "إله الفجوات"، الذي تم استدعاؤه لشرح هذه الميزة أو تلك للكون الطبيعي، يستحق أن يُحكم عليه باعتباره فرضية علمية، ويوجد راغبًا بشكل كبير. 2 لكن الملحدون أحيانًا يسمعون أنهم يهاجمون قشة أمل أقل تبسّطية كأنهم يهاجمون إنسان. قد يكون الإله ذو اللحية هو ما يدور في ذهن مرتادي الكنيسة النموذجيين، لكن لدى اللاهوتيين نظرة أكثر دقة لطبيعة الألوهية، والدحض المباشر لإله ساذج متدخل يفتقد إلى الدقة ببساطة.

وهناك شعور بأن هذا صحيح. ضع جانباً في الوقت الحالي أن بعض النسخ من رجل القش المزعوم هذا المقبول في الواقع من قبل مليارات الأشخاص في جميع أنحاء العالم ، وبالتالي يستحق المواجهة من أجل مصلحتهم. إذا أراد الملحدون الادعاء بأنهم على حق، فيجب عليهم مهاجمة أقوى نسخة من موقف خصومهم - الصيغة الأكثر تعقيدًا من الناحية الفلسفية والمنطقية لمفهوم "الله". إحدى المشاكل هي أنه حتى هذا البناء معروف بالزلق. كانت العقول العظيمة تتجادل منذ آلاف السنين حول ما يفترض أن يعنيه الله، دون التوصل إلى الكثير من الإجماع. حتى اليوم، يتمسك العديد من اللاهوتيين حقًا بفكرة عن الله كنوع من الأشخاص ذوي المعتقدات والأهداف. 3 لكن آخرين يصلون إلى شيء أكثر تجريداً. بالبحث قليلاً، نجد تركيبات مثل ما يلي:

- الله كائن ضروري (أو "الكائن الضروري")؛ 4
- الله شرط إمكانية أي كيان على الإطلاق؛ 5
- الله هو السبب الأول لكل الأشياء (أرسطو، توما الأكويني)؛
- الله جوهر الحياة؛ 6
- الله هو وحدة كل ما هو موجود (وحدة الوجود، سبينوزا)؛

## • الله مفهوم نقيس به آلامنا 7.

هذه التعريفات ليست متكافئة، لكنها تشترك في روح عامة: الله ليس كائنًا ما، خارج أو داخل الكون، يقوم بأشياء. بل بالأحرى، الله هو نوع فريد من الكاتولوجيا الأنطولوجية، وهو سيرورة مهمة إلى حد ما لوجود أو عمل الكون، والذي يقاوم التجسيم الساذج. يمكننا أن نطلق على الصيغة الأولى "الله المتدخل"، والأخيرة "الله اللاهوتي"، مستحضرين المعاني الأصلية للثيولوجيا - ثيوس - واللوغوس theos and logos - باستخدام كلمة الله". الحجج القائلة بأن المعجزات لا تحدث أو أن الانتقاء الطبيعي كافٍ لشرح تنوع الحياة لن يكون لها جاذبية كبيرة ضد فكرة الله اللاهوتية. على الملحين، عند تقديمهم لتعريفات كهذه، أن يقاوموا إغراء نتف شعرهم ويسألوا: "ماذا يُفترض أن يعني ذلك في العالم؟" عندما يسمع غير المؤمنين عن كائن خارق للطبيعة خلق الكون وله مصلحة خاصة في تصرفات الجنس البشري، فقد لا يؤمنون بوجوده، ولكن على الأقل يبدو المفهوم مفهومًا. لكن - إذا أخذنا الملحين ليكونوا ماديين ذوي عقلية علمية، معتادون على وصف العالم من حيث النماذج القابلة للاختبار تجريبيًا - فإن عبارات مثل "الوجود الضروري" أو "جوهر الحياة" أو "حالة الاحتمال" تقاوم الطعن المباشر، ببساطة لأنها من الصعب وضع إصبعك على ما يتم الحديث عنه. وبالفعل، هناك مجموعة متنوعة من الأشياء المختلفة التي قد يفكر بها المؤمنون بالله لاهوتي. مع خطر المبالغة في التبسيط، يمكننا تقسيمها إلى فئتين:

• الله كعلامة لبعض سمات العالم، أو الكون نفسه؛

• الله كفكرة منطقية ضرورية لفهم العالم.

في الفئة الأولى نجد مؤمنين بوحدة الوجود، الذين يربطون الله بالطبيعة أو ربما بقوانين الفيزياء، وكذلك أولئك الذين يقرون الله بالقدرة على الحب، أو بشعور من الرهبة تجاه العالم. بالنسبة لأشخاص مثل هؤلاء، فإن رد فعل المادي العلمي هو ببساطة: "حسنًا، لماذا لم تقل ذلك؟ أنت مجرد ملحد". أي، إذا كنت ترغب في إرفاق تسمية الله بهذه الأشياء، فابدأ الآن؛ فليس لهذا "الله" أي تأثير على طريقة عيشنا في العالم أو الطريقة التي نفهم بها. بالنسبة إلى البراغماتي (وهو ما يميل الملحين إلى أن يكونوا)، فإن وجهة النظر هذه ببساطة غير ذات صلة؛ إنها مسألة مفردات وليس ميتافيزيقيا 8.

لذا فهي الفئة الثانية من المفاهيم اللاهوتية عن الله هي التي (أخيرًا) يجب أن نوجه انتباهنا إليها. وفقًا لهذا التعريف، فإن الله ليس كائنًا يمكن تجسيده، ولا مجرد تسمية أخرى للكون أو جوانب منه. بالأحرى، الله هو نوع جديد من الجوهر، ليس جزءًا من العالم المادي ولا يتطابق معه، بل هو جوهر، وجوده ضروري لوجود العالم المادي. إما أن الله خلق العالم ثم تراجع (كما في بعض أشكال الربوبية)، أو أن الله

يحافظ على وجود العالم طوال الوقت، فهذه أطروحات غامضة لا تتسم بالوضوح. لا يؤمن الملحدون بوجود أي فئات منفصلة حقًا عن العالم المادي. إنهم يعتقدون أن العالم مصنوع من "الأشياء"، وأن تلك الأشياء تطيع أو تخضع لـ "القواعد"، وهذه القواعد لا يتم كسرهما أبدًا، وهذا كل شيء. لا شيء مطلوب أكثر من ذلك. قد تكون هناك تصنيفات غير موجودة في اللبنة الأساسية للعالم، بل تنبثق منه، وتخدم أغراضًا حاسمة في حياة البشر - العواطف، والأحكام الجمالية، وقواعد الأخلاق والأخلاق. لكن لا يوجد أي منها منفصل، أو موجود خارج العالم، أو يتطلب مجموعة متميزة من القواعد. الكون المادي قائم بذاته وكامل.

من هذا المنظور، من السهل أن نرى لماذا يمكن أن تكون المحادثات بين المؤمنين بإله لاهوتي والملحدين الماديين محبطة للغاية. يقول الأول، "أنت بحاجة إلى الله لبدء العالم، أو ليحافظ عليه"، ثم يقول لاحقًا، "لا أنت لست كذلك." من الصعب الارتقاء فوق هذا المستوى وهو أيضًا / ليس بمستوى الحوار. لتحقيق بعض التقدم، دعنا ننتقل إلى نوع الحجج التي يطرحها أحيانًا المؤمنون بإله لاهوتي. سيتعين علينا اختيار واحد من بين العديد، ولكن النكهة يجب أن تأتي. يمكننا أن ننظر إلى الحجة من السبب الأول (الحجة الكونية)، المشهورة بين المفكرين اللاهوتيين من أفلاطون إلى الأكويني وحتى يومنا هذا. توجد بعض الأشياء الطارئة؛ لم يكن عليها أن تكون موجودة. الأشياء العارضة لها سبب آخر غير نفسها. هذا السبب إما كائن عرضي آخر، أو كائن ضروري. لا يمكن أن تكون سلسلة لأسباب لانهائية؛ يجب إيجاد سبب نهائي في كائن ضروري. هذا الكائن الضروري هو الله. من الصعب تخيل إن هذا النوع من الحجج يغير عقل غير المؤمن المتشكك. بل بالنسبة لشخص مستعد للإيمان، ومع ذلك يعتبر أن الله المتدخل أمر قديم أو مبسط، فإن الحجج الكونية توفر أساسًا منطقيًا للاعتقاد بالله اللاهوتي. الآثار تتطلب أسباب، أليس كذلك؟ الحقيقة هي أن التأثيرات ستتطلب أسبابًا - لو كان أرسطو وأفلاطون على حق بشأن العالم المادي. وفقًا لفرع معين من الفلسفة القديمة (يقف ديموقريطس والذريون في المواجهة)، فإن السببية هي حقًا جانب أساسي من جوانب الكون. في منظور عالمي حيث تكون الحالة الطبيعية للمادة في حالة راحة، على سبيل المثال، يتطلب وجود الحركة سببًا. على مستوى أقل رسمية، توفر مفاهيم السبب والنتيجة طريقة مفيدة لتصوير تجاربنا اليومية. إذا قام شخص ما بقرع الزجاج، فإن عملية الطرق تفسر بشكل منطقي على أنها سبب سقوط الزجاج. لكن في هذه الأيام نعرف الفيزياء المعاصرة على نحو أفضل، منذ غاليليو ونيوتن ولا بلاس، لا تقوم على السببية بل على الحتمية. إذا عرفنا حالة الكون في أي وقت، وعرفنا كل قوانين الطبيعة، ولدينا قدرات حسابية مثالية، يمكننا التنبؤ بحالة الكون في أي وقت آخر. أي أن المستقبل والماضي مصممان بشكل جيد؛ يتم الاحتفاظ بكمية المعلومات المطلوبة

لتحديد حالة الكون من لحظة إلى أخرى، وتوفر قوانين الطبيعة خريطة عكسية من الحالة في أي وقت إلى الحالة في أي وقت آخر. (تعتبر عملية القياس في ميكانيكا الكموم استثناءً لهذه القاعدة، ولكن - يعتقد الكثير من الناس الآن - إنها ليست قاعدة أساسية).

في عالم حتمي، يكون لمفاهيم السببية وضعًا مختلفًا تمامًا - فهي ليست أساسية بأي شكل من الأشكال، ولكنها توفر فقط أوصافًا ملائمة للترتيب الزمني لحالات معينة. بالنظر إلى حالة الكون قبل سقوط الزجاج، يمكننا أن نتوقع بثقة أن الضربة ستحدث؛ وبالمثل، بالنظر إلى الحالة بعد الإطاحة بها، يمكننا بثقة إعادة تأكيد أنها كانت مستقيمة في السابق. لا يوجد أي إحساس عميق بأن أي شيء يتعلق بالحالة السابقة كان سببًا في أي شيء يتعلق بالحالة اللاحقة، أو على الأقل ليس أكثر مما يمكن أن يقال إن الحالة اللاحقة له "تسبب" في الحالة التي سبقتها. السبب والنتيجة ليسا أساسيين - فالكون يتمايل فقط وفقًا لقوانين الطبيعة. بالطبع، السببية هي بلا شك مفهوم مفيد في حياتنا اليومية. تتبع هذه الفائدة من حقيقة قاسية عن كوننا المادي: سهم الزمن، مشيرًا من ماضٍ منخفض الإنتروبيا إلى مستقبل أكبر من الإنتروبيا. على الرغم من أن قوانين الفيزياء قابلة للعكس، إلا أن العمليات العيانية غالبًا ما تبدو غير قابلة للعكس، لأن الانتروبيا لا تتناقص تلقائيًا أبدًا. وبالتالي، فقد تبين أنه من المفيد جدًا التفكير في سمات الماضي ذي الإنتروبيا المنخفضة (كوعك، الذي ينقلب بتهور عبر الطاولة) على أنها تسبب ملامح مستقبل الكون الأعلى (الزجاج، تحطم إلى اثنتي عشرة قطعة على الأرض). لكن على مستوى أعمق من الجسيمات الأولية التي تخضع لقوانين الفيزياء، يمكن حساب التاريخ الكامل للكون بسهولة من الحالة في أي وقت.

وأين يترك هذا الحجة الكونية؟ في حالة من الفوضى، فيما يتعلق بالكشف عن حقائق عميقة عن الكون. لا يوجد تقسيم للكائنات إلى "عرضية" و "ضرورية"، فالتمييز غير أساسي بين الآثار والأسباب. لا يوجد سوى الكون الذي يطيع قوانينه. هذا هو الوصف الكامل، والاكتفاء الذاتي للواقع. ولا حاجة إلى الله. يجدر بنا أن نركز للحظة على الطريقة التي ينظر بها المادي العلمي الحديث إلى كوننا، والأكوان الأخرى المحتملة. يصمم العلم العالم كنظام رسمي - هيكل رياضيائي / منطقي، إلى جانب "تفسير" يحدد كيف تتوافق العناصر المختلفة للنظام الرسمي مع الواقع. ووفقًا لطريقة التفكير هذه، هذا كل ما هو موجود بالفعل. في ميكانيكا نيوتن، الكون هو عنصر من فضاء الطور (موضع وزخم كل جسيم) يتطور عبر الزمن. في النسبية العامة، الكون عبارة عن زمكان منحنى رباعي الأبعاد. في ميكانيكا الكموم، الكون عنصر من فضاء هيلبرت المعقد الذي يتطور عبر الزمن. ربما في يوم من الأيام، عندما تكون نظرية كل شيء بين أيدينا، سنفهم أن الحقيقة هي نوع آخر من البنية الرياضية. الاختيار المحدد لا يهم. النقطة



المهمة هي، بمجرد أن نعرف ما هي البنية الرياضية وكيف تتوافق مع تجربتنا التجريبية، فقد انتهينا. أي بنية رياضية متسقة، بمعنى آخر، هي كون محتمل. وظيفة العلم هي ببساطة أن يقرر أيهما هو الصحيح. إليك عالم يمكن تصوره: سلسلة لا نهائية من 1 و 0، تتبع نمط اثنين من 1 متبوعًا بـ 0 واحد، يتكرر إلى الأبد: . . . 110110110110110110110110. . . وفق اللغة الحاسوبية وهناك  $10^{500}$  من الأكوان المحتملة حسب نظرية تعدد الأكوان.

هذا هو الكون. إنه ليس كونيًا مثيرًا للاهتمام بشكل خاص، وهو بالتأكيد ليس كوننا، ولكنه كون محتمل. النقطة الأساسية هي أنه لا يوجد إله يخدم كجزء من هذا الكون، ولا يوجد أي سبب لوجوده. ولا إله فينا أيضًا. الله ليس ضروريًا. ولا حتى الإله البريء نسبيًا من المفهوم اللاهوتي. الخطأ الذي يرتكبه المجادلون حول إله لاهوتي هو أن نأخذ المنطق الذي يعمل بشكل مقبول في العالم ويطبقه بشكل غير نقدي على العالم ككل. "الآثار لها أسباب؛ العمليات لها بدايات. الخيارات لها أسباب". هذه مبادئ منطقية بالنسبة لنا من بين الأحداث التي تشكل تاريخ الكون، ولكن عند تطبيقها على الكون نفسه تصبح ببساطة أخطاء تصنيفية. هناك العديد من التقلبات في الحجة من السبب الأول. إليكم سؤال يُعرض عليه الله غالبًا كإجابة: "لماذا العالم موجود أصلاً؟" وإليك واحد آخر: "لماذا يوجد هذا العالم، بدلاً من عالم آخر، أو لماذا يوجد شيء بدلاً من لا شيء، ولماذا يوجد بهذا الشكل وليس بشكل آخر؟" لا بد أنه من المحبط أن يطرح المؤمن هذه الأسئلة، فقط لسماع إجابات الملحد: "لماذا لا؟" و "فقط لأن" على مستوى عميق للغاية، هذه الإجابات صحيحة. تسمح لنا تجربتنا في الحياة اليومية بطرح أسئلة من النموذج "لماذا هذا على هذا النحو؟" ونتوقع إجابة معقولة. لكن بالنسبة للكون ككل، ليس لدينا مثل هذا التوقع. قد يكون من الجيد جدًا أن الكون هو كما هو، ولا يوجد تفسير أعمق يمكن العثور عليه. بالطبع، قد يكون هناك مثل هذا التفسير؛ على سبيل المثال، قد يكون كل كون محتمل موجودًا، ويعني تأثير الانتقاء الأنثروبي أننا موجودون فقط لطرح السؤال في الأكوان حيث تكون الحياة الذكية ممكنة. أم لا. قد يكون النوع الخاص من الكون الذي نجد أنفسنا فيه حقيقة قاسية تنتظر من يكتشفها وخالية من المزيد من الشرح. النقطة المهمة هي أنه يجوز أن تكون حقيقة قاسية؛ لا شيء نعرفه عن الكون، أو عن المنطق، يتطلب أن يكون هناك نوع من التفسير خارج الكون نفسه. إن الخلافات بين الملحدين الماديين والمؤمنين بإله نظري هي مسائل شخصية وعلم نفس بقدر ما هي حول المنطق والأدلة. إذا كان الشخص، لأي سبب من الأسباب، مستعدًا لـ (أو حريصًا) على الإيمان بالله، يمكن أن يكون التصور المجرد والبعيد فلسفيًا عن الإله بمثابة حل وسط مريح بين عدم معقولية إله كتابي تدخلية والآلية غير الشخصية لكون مادي بحت. لكن بالنسبة للكثيرين منا، لا يوجد شيء محبط بشأن تلك الآلية غير الشخصية. الكون هو كما

هو، وجزء من عملنا، هو اكتشاف ما هو بالضبط. جزء آخر من عملنا هو العيش فيه، وبناء المعنى والعمق من شكل حياتنا. بمجرد أن نتبنى وجهة النظر هذه، فإن الحجج التي تقول بأن الله موجود تبدو أكثر بقليل من كونه، أي الله عبء زائد، يجب التخلص منه دون ندم. إنه عالم كبير وبارد وبلا هدف. ولن يكون لدينا قدرة لإدراك حقيقته بأي طريقة أخرى.

علم الكونيات الملحد:

في السنوات الأخيرة، قام المدافعون اليهود والمسيحيون والمسلمون بتضليل الجمهور بشكل صارخ في الادعاء بعدم وجود تعارض بين العلم والدين وأن العلم الحديث قد أكد بالفعل التعاليم الكتابية بشكل كبير. على سبيل المثال، في كتابه الأخير، ما هو الشيء العظيم في المسيحية؟ يقول دينيش ديسوزا: في تأكيد مذهل لسفر التكوين، اكتشف العلماء المعاصرون أن الكون قد خُلِق في انفجار بدائي للطاقة والضوء. لم يكن للكون بداية في المكان والزمان فحسب، بل كان أصل الكون أيضًا بداية للمكان والزمان. إذا قبلت أن كل شيء له بداية له سبب، فإن الكون المادي له سبب غير مادي أو روحي. كل ثقافة لها أساطير خلقها والكتاب المقدس لا يحتكر هذه القصص. علاوة على ذلك، لا تشبه القصة في سفر التكوين قصة علم الكونيات الحديث بأي حال من الأحوال. لقد خلقت الأرض قبل الشمس والقمر والنجوم. في الواقع، تشكلت الأرض بعد ثمانية بلايين سنة من تشكل النجوم الأولى. بالكاد يمكن أن يُنسب الكتاب المقدس إلى توقع الكون المتوسع الذي وصفه الانفجار العظيم عندما يصور الكون على أنه شركة مع الأرض ثابتة وغير متحركة في مركزها. ومع ذلك، فإن ادعاء D'Souza الرئيسي هو أن الانفجار العظيم أظهر أن الكون، بما في ذلك المكان والزمان، بدأ كوحدة فردية ذات حجم متناهي الصغر وكثافة لانهائية. جادل المدافع المسيحي ويليام لين كريغ لمدة 30 عامًا بأن كل ما يبدأ يجب أن يكون موجودًا كسبب، وبما أن الكون له بداية، فلا بد أنه كان له سبب خارجي. 2. يحدد كريغ هذا السبب بالسبب الأول أو المحرك الرئيسي لأرسطو والأكويني الذي أطلقوا عليه اسم الله.

يبنى كريغ استنتاجاته على الدليل الرياضي الذي قدمه ستيفن هوكينغ وروجر بنروز في عام 1970 على أن الكون بدأ كوحدة فردية "فردة كونية". 3 استنتاج هوكينغ وبنروز يتبع قوانين نظرية النسبية العامة لأينشتاين. ما يتجاهله دي سوزا وكريغ وغيرهما من المؤمنين هو أنه منذ أكثر من 20 عامًا، سحب هوكينغ وبنروز ادعاءتهما واتفقا على عدم حدوث أي تفرد عندما تأخذ في الاعتبار ميكانيكا الكموم. يشير D'Souza إلى الصفحة 53 من كتاب هوكينغ الأكثر مبيعًا لعام 1988 بعنوان موجز لتاريخ الزمن، حيث من المفترض أن يقول هوكينغ: "لا بد أنه كان هناك تفرد أو فردة أدت إلى حدوث البغ بانغ Big Bang". 4 "لم أتمكن من العثور على هذا البيان في تلك الصفحة أو أي صفحة أخرى في

كتاب هوكينغ. في الواقع، قال هوكينغ قبل بضع صفحات العكس تمامًا: "لذا في النهاية، أصبح عملنا [هوكينغ وبنروز] مقبولًا بشكل عام وفي الوقت الحاضر يفترض الجميع تقريبًا أن الكون بدأ بتفرد الانفجار العظيم. ربما يكون من المفارقات أنني، بعد أن غيرت رأيي، أحاول الآن إقناع علماء الفيزياء الآخرين أنه لم يكن هناك في الواقع تفرد أو فريدة في بداية الكون - كما سنرى لاحقًا، يمكن أن تختفي بمجرد أخذ التأثيرات الكمومية في الاعتبار".<sup>5</sup> عندما تمت مناقشة أطروحة ويليام لين كريغ في هاواي في عام 2003، اتضح بشكل كامل حقيقة أن بنروز وهوكينغ قد سحبا اقتراحهما. ومع ذلك، عندما سمعناه يتحدث بعد بضعة أشهر في حرم جامعة كولورادو، كان لا يزال يستخدم حجة التفرد أو الفريدة لتقديم دليل لمنشئ محتوى الكون. وحتى كتابة هذه السطور، لم يصحح موقعه على الإنترنت حيث توجد ورقته البحثية لعام 1991 والتي تقول مرة أخرى أن الكون بدأ بكثافة لا نهائية. ببساطة لم يكن هناك تفرد أو فريدة في بداية الانفجار العظيم، ولا يوجد أساس للدعاء بأن الكون، ناهيك عن المكان والزمان، بدأ في تلك المرحلة بفعل خالق أو قوة خارجية. في الواقع، يشير علم الكونيات الحديث إلى كون لا حدود له ليس له بداية أو نهاية في المكان والزمان، وإن الانفجار العظيم ليس سوى حلقة متكررة داخل الكون الأكبر الكلي المطلق أدت إلى ذلك الكون الفرعي الذي نسميه كوننا المرئي. ولكن حتى لو سلمنا أن الكون له بداية، فهذا لا يعني أن له سببًا. يشير دي سوزا إ: "يقول الفيزيائي فيكتور ستينغر إن الكون قد يكون" غير مسبب "وربما يكون قد" خرج من العدم ". وهو يسخر: "حتى ديفيد هيوم، أحد أكثر الناس تشككًا اعتبر الفلاسفة هذا الموقف سخيًا. كتب هيوم في 1754، "لم أؤكد أبدًا على اقتراح سخي مثل هذا أي شيء قد يرتفع بدون سبب".<sup>7</sup>

يمكن إعفاء هيوم من عدم معرفته بفيزياء الكموم عام 1754، ولكن لا يستطيع أحد أن يعذر دي سوزا وكريغ اليوم، بعد أكثر من قرن على اكتشافهما. في تأكيدهما أعلى أن كل ما يبدأ يجب أن يكون له سبب. حسب التفسيرات التقليدية لميكانيكا الكموم، لا شيء "يسبب" التحولات الذرية التي تنتج الضوء أو الانحلال النووي الذي ينتج عنه إشعاع نووي. هذا يحدث بشكل عفوي ويتم تحديد احتمالاتهم فقط. في عام 1983 أنتج هوكينغ وجيمس هارتل نموذجًا لـ الأصل الطبيعي لكوننا الذي لا يزال حتى اليوم ثابتًا تمامًا مع كل ما نعرفه من الفيزياء وعلم الكونيات.<sup>8</sup> هذه مجرد واحدة من عدد من السيناريوهات الطبيعية التي تم نشرها من قبل العلماء في المجالات العلمية ذات السمعة الطيبة.<sup>9</sup> في أحد أشكال نموذج هارتل هوكينغ، بعد مراجعة ديفيد أتكاتز،<sup>10</sup> ظهر الكون من خلال عملية نفق كمومي من زمن كون سابق لكوننا الذي امتد إلى ماضينا بلا حدود. هذا النفق يمر عبر منطقة من الفوضى الكاملة. لقد عمل على هذا النموذج بتفاصيل رياضية كاملة ونشرها في كتاب ومقال في مجلة فلسفية<sup>11</sup> جميع السيناريوهات

المنشورة عن أصل طبيعي لكوننا هي بما يتفق مع المعرفة الموجودة. ومع ذلك، لم يتم إثبات أي منها. لذلك لا يمكننا أن نقول إن هذه هي بالضبط الكيفية التي جاء كوننا وفقها، أن نقبل حقيقة أن لدينا عدة سيناريوهات معدة بالكامل تدحض أي ادعاء بأن سبباً خارقاً كان مطلوباً لوجود الكون. النماذج الكونية مثل نموذج هارتل وهوكينغ والمزيد من الاعتبارات العامة تشير إلى أن كوننا في أقرب وقت ممكن كانت لحظة انبثاقه عبارة عن ثقب أسود من أقصى إنتروبيا - أي فوضى كاملة ومعلومات قليلة أو معدومة. هذا يعني أن الكون المبكر لا يحتوي على معلومات عن أي حالة سابقة. إذا كان الخالق موجوداً، فكوننا لا يتذكره. والآن، على الرغم من أن الانتروبيا الأولية للكون كانت قصوى، كان الحد الأقصى لا يزال منخفضاً جداً لأن الكون في ذلك الوقت كان صغيراً ومكثفاً جداً ولكن مع زيادة حجم الكون، فإن الإنتروبيا تزداد إلى أقصى حد وهذا يترك مجالاً لتشكيل النظام دون انتهاك القانون الثاني للديناميكا الحرارية. لم تكن هناك حاجة إلى إدخال معلومات خاصة للانفجار العظيم ولم تنتهك أي قوانين فيزيائية عندما ظهر الكون المرئي قبل 13.8 مليار سنة. تعطي القياسات الحديثة لمتوسط كثافة الطاقة في الكون القيمة التي ينبغي أن تكون لها بالضبط إذا كانت الطاقة الكلية في بداية الانفجار العظيم صفراً. أي، لم تكن هناك حاجة إلى طاقة خارجية لصنع كوننا. الطاقة الكلية للكون تساوي صفراً، مع إلغاء الطاقة الإيجابية للحركة تماماً بواسطة الطاقة الكامنة السلبية للجاذبية.

حاول علماء اللاهوت مثل ألفين بلانتينغا تحقيق الكثير من هذه الأنواع من التوازن الوثيق، مدعين أن الله قد "صقلهم" لجعل البشرية ممكنة. أي خلل طفيف في الطاقة في الكون المبكر، مهما كان صغيراً مثل جزء واحد من عشرة إلى ستين سيحدث تغييراً، إما أن الكون سينهار بسرعة كبيرة بحيث لا يمكن للحياة أن تتشكل، أو أنه قد تمدد بسرعة بحيث لا تمتلك النجوم فرصة أو الوقت اللازم لتتشكل<sup>12</sup>. هذا مثال آخر، وهو في هذه الحالة مثال ساخر للغاية، حيث يؤدي جهل علماء الدين بالفيزياء إلى تضليل أنفسهم والآخرين. في الواقع، إن التوازن بين الطاقة الإيجابية والسلبية دقيق للغاية لأن الكون لم يتم إنشاؤه بل نشأ بشكل طبيعي من لا شيء بدون طاقة. بعيداً عن المساعدة في إثبات وجود الله، يقدم هذا المثال سبباً إضافياً للاعتقاد بأنه غير موجود. دعونا نلقي نظرة أكثر على الادعاء بأن ثوابت الفيزياء مضبوطة بدقة لدرجة أنه بدون هذا الضبط، لن تكون الحياة كما نعرفها موجودة. غالباً ما تسمى هذه الحجة بالمبدأ الأنثروبي<sup>13</sup>. النسخة الضعيفة من هذا المبدأ تافهة. بالطبع نحن نعيش في عالم تتاسبنا ثوابت الطبيعة. إذا لم يكونوا كذلك، لما كنا هنا موجودين ونحدث في هذا الموضوع. في النسخة الأقوى من المبدأ الأنثروبي، تم اختيار الثوابت بطريقة ما لإنتاجنا. يقول المؤمنون أن ذلك من عمل الله ويتدخله المباشر. لقد اقترح العلماء بديلاً حيث توجد أكوان متعددة ذات ثوابت مختلفة، وهكذا، بالمبدأ الأنسي الضعيف،

نحن في الكون المناسب لنا. سخر العديد من المؤمنين من فكرة الأكوان المتعددة، قائلين إنها غير علمية لأننا لا نستطيع مراقبة الأكوان الأخرى أو رصدها. يزعمون أيضًا أن فرضية الكون المتعدد تنتهك شفرة أوكام من خلال "مضاعفة الكيانات بما يتجاوز الضرورة". ومع ذلك، غالبًا ما يتعامل العلم مع غير القابل للرصد بشكل مباشر، وتقتصر النظريات الكونية الحديثة التي تتفق مع جميع البيانات الموجودة بشأن الأكوان المتعددة.

علاوة على ذلك، تتعامل شفرة أوكام مع الفرضيات وليس مع الأشياء. ضاعف النموذج الذري عدد الأشياء التي كان علينا التعامل معها بمقدار تريليون، ومع ذلك كان أكثر بخلًا من النماذج التي سبقته. وبالمثل، لأننا نحتاج إلى إدخال عنصر إضافي. فرضية حصر أنفسنا في كون واحد، فإن النموذج الأحادي هو الذي ينتهك شفرة أوكام.

ولكن حتى في كون واحد، فإن صقل الحجة فشل لأنها لا تقول شيئًا عن الحياة كما لا نعرفها. ليس لدينا طريقة لتقدير عدد أشكال الحياة المختلفة التي يمكن أن تكون ممكنة مع مختلف الثوابت والقوانين الفيزيائية. علاوة على ذلك، فإن كوننا لا ينظر إلى كل شيء بصورة مضبوط بدقة من أجل الحياة البشرية. لا يمكننا الوجود إلا على هذا الكوكب الصغير. يحتوي الكون المرئي على أكثر من مائتي مليار مجرة ، لكل منها من مائة على ثلاث مائة مليار نجم. فالمسافة بين النجوم شاسعة بالمعايير البشرية لدرجة أننا لن نظهر جسدًا أبدًا خارج نظامنا الشمسي. علاوة على ذلك، المزيد من الأكوان - على الأقل 50 مرتبة من حيث الحجم- تقع وراء أفقنا الكوني. إن الكون الذي نراه بأقوى مقاربنا أو تلسكوباتنا، يمتد حتى 41 مليار سنة ضوئية، وهو ليس سوى حبة رمل في الصحراء. ومع ذلك، من المفترض أن نفكر في وجود كائن أعلى يتبع مسار كل جسيم، بينما يستمع إلى كل فكر بشري، ويوجه فرق كرة القدم المفضلة لديه إلى النصر، ويؤكد أن الطائرة التي نجت من تحطم الطائرة المختارة كانت خصيصًا من اختياره. علاوة على ذلك، لماذا يجب على الإله الكامل القادر أن يعذب بأي مقابض لضبط الكون من أجل البشرية؟ هل هذا هو الله؟ كان يجب أن يكون على حق في المقام الأول. كان بإمكانه أن يجعل من الممكن لنا العيش في أي مكان، حتى في الفضاء الخارجي. أخيرًا، اسمحوا لي أن أتطرق إلى السؤال الأكثر شيوعًا الذي يطرحه المؤمنون على الملحد، وهو السؤال الذي يعتقدون بشكل متعجرف أنه النقطة الفاصلة الأخيرة في قضية الله: "لماذا يوجد شيء بدلاً من لا شيء؟" هذا يسمى السؤال الوجودي الأساسي. أظهر الفيلسوف البارز أدولف غرونباوم أن السؤال غير مفهوم لأنه يفترض أن الحالة الطبيعية للأمور هي "لا شيء" وأن سببًا ما كان ضروريًا لإيجاد "شيء ما". يمكن استكمال هذه الحجة بحجة فيزيائية مفادها أن الشيء الطبيعي أكثر من لا شيء. تميل الأنظمة المادية في الطبيعة إلى التغيير

تلقائياً من الحالات الأبسط والمتناظرة إلى الحالات الأكثر تعقيداً وغير المتماثلة. على سبيل المثال، في حالة عدم وجود طاقة خارجية (حرارة)، سوف يتكثف بخار الماء في ماء سائل، ثم يتجمد في شكل جليد. نظراً لأنه لا يوجد شيء أبسط من شيء ما، فإننا نتوقع أن يتغير تلقائياً إلى شيء ما. كما قال عالم الفيزياء الحائز على جائزة نوبل فرانك ويلشيك عندما سُئل عن سبب وجود شيء بدلاً من لا شيء أجاب: "لا شيء غير مستقر". يمكننا أيضاً أن نظهر أن قوانين الفيزياء هي فقط ما ينبغي أن تكون عليه إذا كان الكون قد أتى من لا شيء.<sup>16</sup> النجوم والكواكب والجبال وأنا وأنت ببساطة لا نتجمد فنحن شيئاً.

"إما أن يكون الله أو لا يكون". ولكن إلى أي وجهة نميل؟ لا يمكن للعقل أن يقرر هذا السؤال. هذا ما كان يردده (بليز باسكال) يعتقد العديد من المؤمنين، على غرار باسكال، أن العقل لا يمكنه تحديد ما إذا كان الله موجوداً أم لا. في الواقع، يفترض الكثيرون أنه نظراً لأن الله، إن وجد، يتجاوز الواقع المادي، فمن المستحيل من حيث المبدأ بالنسبة لنا تحديد ما إذا كان الله موجوداً بمجرد ملاحظته. يمكن أن يوفر العلم والملاحظة التجريبية بشكل عام، في أحسن الأحوال، بعض القرائن لكنها لا تستطيع تسوية المسألة دون شك معقول. لنوضح أولاً عن أي إله نتحدث. هل إله اليهودية والمسيحية هو الإله الذي يعبدّه اليهود والمسيحيون والمسلمون. وهل هو كما تصفه الأديان ووفقاً للأرثوذكسية الدينية، كلي القوة، يعرف كل شيء، وربما الأهم من ذلك، أنه خير إلى أقصى حد أو خير كلي - جيد قدر الإمكان. في الواقع، قيل لنا أن الله يحبنا كما لو كنا أولاده. أولئك الذين يعتبرون الإيمان بهذا الإله المعين على الأقل غير معقول سوف يشيرون عادةً إلى مجموعة من الحجج لدعم معتقدتهم. "لماذا هناك شيء بدلاً من لا شيء؟" قد يسألون. "يشرح الله وجود الكون. ووجود الله، لكونه ضرورياً، لا يتطلب أي تفسير إضافي. إذن أنت ترى؟ - الله يقدم الإجابة الوحيدة المرضية عن هذا السؤال ". أو قد يديرون حجة نمطية دقيقة، مثل: "فقط مجموعة معينة جداً من القوانين والشروط الأولية يمكنها أن تخلق كوناً قادراً على إنتاج كائنات واعية مثلنا. ما هو احتمال امتلاك الكون لهذه الميزات بالصدفة؟ إنه احتمال منخفض بشكل فلكي. ومن الأرجح، إذن، أن نوعاً من الذكاء الكوني صمم الكون عن قصد بهذه الطريقة. وهذا الذكاء هو الله ". هذه الحجج، التي يسلمها المؤمن عادة، قد لا تكون مؤيدة، من الناحية المنطقية - لكنهم يظهرون أن الإيمان بالله لديه على الأقل شيء يسير لتحقيقه. المشكلة هي أن هذه الحجج ضعيفة للغاية. أكثر ما يؤسسون، إن وجد، هو أن الكون لديه نوع من الخالق أو المصمم. إنها، كما هي، قفزة هائلة أخرى غير مبررة إلى الاستنتاج بأن هذا المصمم المبدع قوي للغاية وجيد إلى أقصى حد. هذه الحجج، كما هي، لا تدعم هذا الاستنتاج أكثر مما تدعم

الاستنتاج القائل بأن المصمم المبدع، على سبيل المثال، هو أقصى حد من الشر (وهو ما لا يدعمونه على الإطلاق). الأمور تزداد سوءاً. لا يقتصر الأمر على أن العديد من الحجج الشعبية (إن لم يكن كلها) حول وجود الله تفشل في تقديم أسباب كثيرة لافتراض وجود هذا الله اليهودي المسيحي الإسلامي، بل يبدو أن هناك أدلة قوية جداً ضد هذه الفرضية. أفكر بالطبع في "مشكلة الشر" ("الشر" في هذا السياق، يغطي كلاً من الألم والمعاناة والكوارث، وأيضاً السلوك السيئ أخلاقياً - مثل القتل والسرقة والقسوة والوحشية وما إلى ذلك). في الواقع، هناك مشكلتان للشر - المشكلة المنطقية ومشكلة الإثبات. المشكلة المنطقية للشر: الله، إن وجد، هو كلي القدرة وخير إلى أقصى حد. لكن من المؤكد أن وجود مثل هذا الكائن لا يتوافق منطقياً مع وجود الشر. يمكن للكائن القوي أن يمنع وجود الشر. لكونه جيداً إلى أقصى حد وقادر، فإنه لا يريد أن يوجد الشر. بما أن الشر موجود، فمن المنطقي أن إله اليهودية والمسيحية والإسلام لا يفعل ذلك، ولماذا لا يفعل ذلك وينهي الشر مرة وإلى الأبد، بما أنه قادر على كل شيء؟ الجواب ببساطة لأنه غير موجود. لاحظ أن مقدار الشر الذي يحتويه العالم ليس له صلة هنا. الحجة هي أن وجود الله يتعارض منطقياً مع وجود أي شر على الإطلاق. ربما يمكن التعامل مع المشكلة المنطقية من خلال اقتراح أن الله يريد أن يخلق عالماً صالحاً إلى أقصى حد - عالم جيد بقدر ما يمكن أن يكون عليه العالم. وقد يحتوي عالم الخير إلى أقصى حد على بعض الشر. لماذا؟ لأن هذا الشر هو الثمن المدفوع من أجل بعض الخير الأعظم - خير يفوق الشر. مثل هذا العالم الجيد إلى أقصى حد سيكون أفضل من عالم خالٍ من الشر. لذلك، على سبيل المثال، قد يزعم المسيحي أن الإرادة الحرة هي خير عظيم. صحيح أننا نختار أحياناً القيام بأشياء سيئة في ظل الإرادة الحرة. لكن خير الإرادة الحرة يفوق شر تلك الأشياء السيئة التي نقوم بها، ولهذا السبب لا يزال الله يخلق مثل هذا العالم.

مشكلة الشر الدليل: فإذاً المشكلة المنطقية هي تفسير سبب سماح الله الصالح إلى أقصى الحدود بأي شر على الإطلاق. وهي مشكلة ربما يمكن حلها. على النقيض من ذلك، تكمن مشكلة الإثبات في تفسير سبب سماح هذا الإله بقدر كبير من الشر في خليقته. حتى لو اعترفنا بأن كائناتاً كلي القدرة وكلي المعرفة وخيراً للغاية قد يخلق عالماً به بعض الشر على الأقل، فمن المؤكد أنه لن يكون هناك سبب يدعو إلى إنشاء عالم يحتوي على مثل هذه الكميات غير العادية من الألم والمعاناة؟

يمكننا زيادة حدة المشكلة بالإشارة إلى أن الله لن يسمح على الأرجح بمعاناة لا مبرر لها. يجب أن يكون هناك سبب وجيه لكل ذلك أو لجزء منه. لكن عندما نفكر في الكميات الهائلة من المعاناة التي يحتويها

العالم - بما في ذلك مئات الملايين من السنين من معاناة الحيوانات التي حدثت قبل ظهورنا نحن البشر (بما في ذلك الرعب الذي لا يمكن تخيله حرفيًا الناجم عن أحداث الانقراض الجماعي، والأوبئة والكوارث الطبيعية، والغزوات وعمليات الإبادة المنظمة، التي أدت إلى نحو 95 في المائة من جميع الأنواع من على وجه الأرض) - ألا يتضح سريعًا أنه لا يمكن حسابها جميعًا بهذه الطريقة؟ لذا، في حين أنه ربما يمكن التعامل مع مشكلة الشر المنطقية، تبدو مشكلة الأدلة، بالنسبة لي، وكأنها تهديد خطير للغاية لعقلانية الإيمان بالله. يبدو أن معظم الحجج الشائعة حول وجود الله لا تفشل فقط في تقديم الكثير من الدعم للفرضية القائلة بأن هناك إلهًا كليًا صالحًا إلى أقصى حد، ولكن هناك أيضًا أدلة قوية جدًا ضد الفرضية. بعيد عن كونه أمرًا "غير معقول" للاعتقاد به، فقد بدا وكأنه الإيمان بإله اليهودية والمسيحية والإسلام أمر غير منطقي حقًا. كيف يستجيب المؤمنون للتحدي الذي تطرحه مشكلة الشر كدليل على عدم كمال الله وانعدام عدالته، إن لم نقل عن وجوده؟ في كثير من الأحيان، من خلال بناء اليهودسيات - التفسيرات الإيمانية لمقدار الشر الموجود. تم تطوير العديد من هذه التفسيرات. فيما يلي ثلاثة أمثلة شائعة.

ثيوديسي الإرادة الحرة: يمكن التذرع بالإرادة الحرة للتعامل ليس فقط مع مشكلة الشر المنطقية، ولكن أيضًا مع مشكلة الإثبات. إليك مثال بسيط. الله أعطانا الإرادة الحرة. الإرادة الحرة خير عظيم. كما أنه يسمح ببعض المزايا المهمة، مثل قدرتنا على فعل الخير بإرادتنا الحرة. صحيح أن الله قد يجبرنا دائمًا على أن نكون صالحين، ولكن بعد ذلك سنكون مجرد كائنات دمي، وبالتالي لسنا مسؤولين عن أفعالنا ولا نستحق مدحًا أخلاقيًا - لأفعالنا الصالحة. إن عمل الخير بمحض إرادتنا هو خير أكبر بكثير. صحيح، نتيجة لامتلاكنا لإرادتنا الحرة، فإننا نخطئ أحيانًا - فنحن نسرق ونقتل ونعذب ونشن الحروب، على سبيل المثال. لكن هذه الشرور تفوقها الخيرات التي تسمح بها الإرادة الحرة. وعلى حد تعبير اللاهوتي جون هيك، "وادي يصنع الروح". كان بإمكان الله أن يصنع عالمًا شبيهًا بالسماء لنعيش فيه. لقد اختار عدم القيام بذلك، لأنه يريد أن يمنحنا الفرصة للنمو والتطور إلى نوع من الكائنات النبيلة والفضيلة التي نريدنا أن نكون عليها. هذا النوع من النمو يتطلب صراعًا. لا ألم، لا ربح. كثير من الناس، بعد أن مروا بمرض رهيب، يقولون إنه في حين أن محنتهم كانت مروعة، فإنهم لا يندمون على أنهم مروا بها. لأنها منحهم الفرصة لمعرفة ما هو مهم حقًا، للتطور معنويًا وروحانيًا. بعبارة أخرى يقول هذا المنطق أنه من خلال التسبب في الألم والمعاناة لنا، يمنحنا الله فرصة لا تقدر بثمن للنمو والتطور الأخلاقي والروحي.

قوانين الطبيعة الثيودسية: يتطلب العمل البشري الفعال أن يتصرف العالم بطريقة منتظمة (على سبيل المثال، أنا قادر على إشعال هذه النار عن قصد من خلال قداحة الكبريت الخاص بي فقط لأن هناك



قوانين تحدد ذلك، بموجب هذا في حالة حدوث حريق نتيجة وقوع مباراة). إن وجود قوانين الطبيعة هو شرط أساسي لامتلاكنا القدرة على التصرف في بيئتنا الطبيعية والتفاعل مع بعضنا البعض داخلها. هذه القدرات تسمح بميزات عظيمة. يمنحونا الفرصة للتصرف بطريقة فاضلة أخلاقياً. صحيح أن مثل هذا العالم الذي يحكمه القانون ينتج حتماً بعض الشرور. على سبيل المثال، فإن نوع القوانين والظروف الأولية التي تنتج كتلاً أرضية مستقرة يمكننا أن نحيا ونتطور عليها أيضاً تنتج تحولات تكتونية تؤدي إلى الزلازل الأرضية والتسونامي. ومع ذلك، فإن الشر الناجم عن الزلازل وأمواج تسونامي تفوقه الامتيازات التي تسمح بها هذه القوانين نفسها. قد نعتقد أنه من الممكن تصميم عالم يحتوي، كنتيجة لقوانين و / أو ظروف أولية مختلفة، على نسبة أكبر بكثير من الخير إلى الشر (يحتوي على كتل أرضية مستقرة ولكن لا يوجد زلازل، على سبيل المثال)، ولكن، بسبب العواقب التي فشلنا في توقعها (ربما يكون غياب الزلازل على حساب نوع أسوأ من الكوارث العالمية)، فإن مثل هذه العوالم، في الواقع، ستكون دائماً أسوأ من العالم الفعلي. بالطبع، جميع النظريات الثلاث المذكورة أعلاه بها ضعف. خذ نظرية الإرادة الحرة: إنها تقشل في تفسير ما يسمى بالشرور الطبيعية - مثل الألم والمعاناة التي تسببها الكوارث الطبيعية. تشير نظرية بناء الشخصية أيضاً أسئلة مثل: لماذا مئات الملايين من السنين من معاناة الحيوانات؟ هل كانت شخصياتهم بحاجة إلى البناء أيضاً؟ ومع ذلك، فإن العديد من المؤمنين، بينما يعترفون بأن مشكلة الشر الدليلية لا يمكن حلها بسهولة، قد يقترحون أن مثل هذه التحركات، مجتمعة، تفعل الكثير على الأقل لتقليل حجم مشكلة الإثبات. يكفي، على الأقل، أن تجعل الإيمان بالله أمراً غير معقول في النهاية. يمكنهم أيضاً، كطريقة مفارقة، لعب البطاقة الغامضة. هذا حقاً هو الأفضل من بين كل العوالم الممكنة. في النهاية، حقيقة أن الله الذي يسمح بهذا الرعب أمر منطقي. إنه فقط، كوننا مجرد بشر، لا يمكننا أن نرى كيف ولماذا يفعل ذلك. تذكر، نحن نتعامل هنا مع عقل الله - كائن قوي وحكيم بشكل لا نهائي ومن المحتمل أن تكون خطته غامضة بالنسبة لنا. أظهر القليل من التواضع! إذا كان هناك إله، وهذا كله جزء من خطته الإلهية، فليس من المستغرب أننا لا نستطيع فهم كل ذلك كثيراً، أليس كذلك؟ لذا فإن حقيقة أننا لا نستطيع أن نفهمها كثيراً هي دليل ضعيف على عدم وجود إله.

فرضية الشر البدائي ومشكلة الخير: افترض أنه لا يوجد إله كامل القدرة على الحد الأقصى من الصلاح. هناك، بدلاً من ذلك، إله شرير كلي القدرة. فساد لا يعرف حدوداً، ولا حدود لقسوته. سميت هذه الفرضية الشر الإلهي. لنفترض أنني أؤمن بمثل هذا الكائن. ما مدى معقولية اعتقادي؟ بالتأكيد إنه اعتقاد غير معقول للغاية بالفعل. لكن لماذا؟ بعد كل شيء، كما هو الحال، فإن الحجتين المشهورتين لوجود الله اللتين قمنا بفحصهما سابقاً، توفران، كما رأينا، نفس القدر من الدعم لفرضية الإله الشرير كما تفعل فرضية الله

الصالح القياسية. نظرًا لأن هذه الحجج من المفترض، على نطاق واسع من قبل المسيحيين واليهود والمسلمين، أن تقدم دعمًا عقائديًا كبيرًا لمعتقداتهم، فلا ينبغي لهم الاعتراف بأنهم، يقدمون نفس المستوى من الدعم لفرضية الإله الشرير. لكن بالطبع، لا يكاد أحد يصدق فرضية الشر الإلهي. تم رفضه على الفور من قبل الجميع تقريبًا، ليس فقط إنها غير معقولة، ولكنها على الإطلاق غير معقولة. من الواضح أنه لا يوجد مثل هذا الكائن. لكن لماذا؟ حسنًا، ألا يوجد دليل قاطع ضد فرضية الشر الإلهي - الدليل الذي قدمته الكميات الهائلة من الخير الموجودة في العالم؟ ربما يسمح الإله الشرير ببعض الخير في خليقته من أجل شرور أكبر، لكنه يسمح بذلك تمامًا وعلى نحو كثير؟ لماذا يسمح بالحب والضحك وأقواس قزح التي تمنحنا الكثير من اللذة؟ لماذا يسمح الله الشرير لنا نحن الأطفال أن نحب، والذين يحبوننا في المقابل دون قيد أو شرط؟ الله أو إله الشر يكره الحب! ولماذا يسمح لنا إله شرير بمساعدة بعضنا البعض والتخفيف من معاناة بعضنا البعض؟ هل هذا هو آخر شيء سيفعله الله الشرير؟ بالتأكيد سيلاحظ القراء المدركون أن هذا الاعتراض على الإيمان بإله شرير يعكس مشكلة الشر. إذا كنت تؤمن بإله كلي القدرة وخير إلى أقصى حد، فإنك تواجه مشكلة شرح سبب وجود الكثير من الشر. إذا كنت تؤمن بإله شرير شديد القوة، فإنك تواجه مشكلة شرح سبب وجود الكثير من الخير. قد نسمي المشكلة الأخيرة مشكلة الخير. على الرغم من حقيقة أن فرضية الإله الشرير مدعومة أيضًا بالعديد من الحجج الأكثر شيوعًا لوجود الله باعتباره فرضية الله الصالح، فإن الجميع تقريبًا يرفضها على الفور باعتبارها سخيفة وعشوائية. وهم محقون في ذلك. لماذا؟ بسبب الأدلة التجريبية الساحقة ضدها التي قدمتها مشكلة الخير. لماذا يسمح الله الشرير لنا بمساعدة بعضنا البعض وتقليل المعاناة؟ حسنًا، لقد أعطانا الله الشرير الإرادة الحرة. تسمح الإرادة الحرة ببعض الشرور المهمة، مثل القدرة على فعل الشر بإرادتنا الحرة. صحيح أن الله كان بإمكانه أن يجبرنا دائمًا على فعل الشر، ولكن بعد ذلك سنكون مجرد كائنات دمي، وبالتالي لسنا مسؤولين أخلاقياً أو مستحقين اللوم عن أفعالنا الشريرة. من أجل الفساد الأخلاقي الحقيقي، يجب أن نختار بحرية ارتكاب الخطأ. لهذا السبب أعطانا الله الشرير الإرادة الحرة. إنه يسمح بالشر العظيم للفساد الأخلاقي. صحيح، نتيجة لإعطائنا إرادة حرة، نختار أحيانًا القيام بأشياء جيدة - مثل مساعدة بعضنا البعض وتقليل المعاناة. لكن هذه الخيارات تتفوق عليها الإرادة الحرة الشريرة.

بالإضافة إلى ذلك، تسمح الإرادة الحرة بأشكال مهمة معينة من المعاناة النفسية. صحيح، كان من الممكن أن يعذبنا الله إلى الأبد مع لعبة البوكر الساخنة، ولكن كم هو أكثر إرضاءً وشرًا ليعبث بأذهاننا. من خلال منحنا الإرادة الحرة وكذلك الطبيعة الضعيفة والأنانية، يمكن أن يضمن الله الشرير أننا نعاني من عذاب التجربة. وبعد ذلك، عندما نستسلم، نشعر بعذاب الذنب. لا يمكننا أن نعاني هذه الأشكال

النفسية العميقة من الألم إلا إذا أُعطينا (أو توهمنا) الإرادة الحرة. كان هيك مخطئاً: هذا وادي، ليس من صنع الروح، بل تدمير الروح. يريدنا إله الشر أن نعاني ونفعل الشر واليأس. لماذا إذن يخلق الإله الشرير الجمال الطبيعي؟ لتوفير بعض التباين. لجعل ما هو قبيح يبدو أكثر من ذلك. إذا كان كل شيء بشكل موحد، إلى أقصى حد قبيح، لن نعذب من القبح بمقدار النصف كما لو كان ممثلاً ببعض الجمال. تفسر الحاجة إلى التباين لزيادة المعاناة إلى أقصى حد أيضاً لماذا يمنح الله الشرير لعدد قليل من الناس أساليب الحياة الباذخة والنجاح ويحرم الغالبية العظمى منها وهذا غير عادل. فثروتهم العظيمة مصممة لجعل معاناة بقيتنا أكثر حدة. من يستطيع أن يشعر بالراحة مع العلم أن لديهم الكثير، وأنهم لا يستحقون، وبغض النظر عن مدى صعوبة سعينا، فلن نحقق أبداً ما لديهم. تذكر أيضاً أنه حتى هؤلاء المحظوظين ليسوا سعداء حقاً. لماذا يسمح لنا الله الشرير بإنجاب أطفال جميلين لنحبهم ويحبوننا في المقابل دون قيد أو شرط؟ لأننا سوف نقلق عليهم في نهاية المطاف. الوالد وحده هو الذي يعرف عمق الكرب والمعاناة التي يجلبها إنجاب الأطفال. لماذا يمنحنا إله شرير أجساداً شابة جميلة وصحية وليست سقيمة؟ لأننا نعلم أن الصحة والحيوية لن تدوم طويلاً، وأننا إما سنموت صغاراً أو نذبل ونصبح سلسين، ومصابين بالتهاب المفاصل، ومثيرين للاشمئزاز. من خلال إعطائنا شيئاً رائعاً للحظة، ثم سحبه تدريجياً بعيداً، يمكن أن يجعلنا الإله الشرير نعاني أكثر مما لو لم يكن لدينا في المقام الأول.

يحافظ الأكاديميون على وجه الخصوص على الوهم القائل بأن أشياء مثل التفاصيل المعقدة للمراجعة الأخيرة للحجج الأنطولوجية، على العكس من ذلك، قد تكون مهمة بالفعل عندما يتعلق الأمر بتحديد ما إذا كان الله موجوداً أم لا. إذا فعلوا ذلك، فقد نرى المزيد من التغييرات المنتظمة في العقل. كما هو الحال، يبدو أن فلاسفة الدين على الأقل متسقون في التزاماتهم الأساسية مثل أي شخص آخر. ولكن إذا كان من الواضح أن الشيء نفسه يمكن أن يبدو صحيحاً لشخص واحد، ومن الواضح أنه خاطئ لشخص آخر، أليس هذا السبب كافياً لتجاهل الغموض باعتباره فئة غير مفيدة؟ لا أعتقد ذلك، لأن الطريقة التي يكون فيها الإيمان واضحاً تختلف تماماً عن الطريقة التي يكون بها عدم الإيمان. يمكن توضيح ذلك بكلام قاله عالم فيزيائي ومسيحي متدين في نفس الوقت هو راسل ستانارد، عندما سؤل هذا الأخير عن كيف يمكن للمرء الحصول على دليل على أن الصلاة تؤسس اتصالاً مع الله. قال: "أعتقد أن ما عليك أن تدركه هو أنك عندما تتحدث إلى أشخاص متدينين، فإنهم يشعرون أن لديهم مثل هذا الدليل الداخلي القوي. كما قال يونغ، لست مضطراً إلى الإيمان بالله، أنا أعلم أن الله موجود. وهو يتحدث هنا كما لو إن الله فرضية سيتم تأكيدها بطريقة علمية. وينطبق الشيء نفسه على مبادئ الإلحاد الواضحة الأخرى. من الواضح أننا كائنات بيولوجية يعتمد كيانها ووعيتها على عمل الجسم والدماغ لأن الدليل واضح وساحق،

وليس لأننا نشعر أنه يجب أن يكون صحيحًا. ومن هنا فإن الوضوح هو أن الإيمان وعدم الإيمان لا يلغي أحدهما الآخر، تاركين الوضوح كعامل غير ذي صلة. بدلاً من ذلك، يمكننا أن نرى أن هناك نوعين على الأقل من الوضوح، ويميل الإيمان إلى الاعتماد على النوع غير الموثوق به، عدم الإيمان بالنوع الموثوق. يجب أن يكون هذا القدر واضحًا. ومع ذلك، فإن وضوح الحقائق الأساسية للإلحاد يسبب أيضًا مشاكل. إذا كنت تعتقد أن الدين كاذب بشكل واضح، فإنه يجعل من الصعب فهم تعاطف لماذا لا يزال الأذكى يؤمنون به. نتيجة لذلك، غالبًا ما يتم اقتراح نظريات خطأ غير محتملة، مثل فكرة أن المؤمنين هم ضحايا نوع من الفيروسات العقلية. في الواقع، يعرف الكثير من المتدينين جيدًا أن الكثير مما يفعلونه هو نتيجة براعة بشرية وليست إلهية. قد يحسبون أيضًا أنه من السخف التفكير في إله في السماء تطفو له النفوس بعد الموت، لكون أجلي. ما هو واضح يبدو كاذب في الدين ولن يتبقى لك شيء. ليس من الواضح أن البشر يجب أن يتخلوا عن البحث عن التعالي بشكل ما، أو ألا يعترفوا بأي سلطة أخلاقية أعلى من أنفسهم. ليس من الواضح أن على المرء أن يوجه حياته نحو المحدود وليس نحو الأبدية. كما أنه ليس من الواضح أن الأديان لا توفر إطارًا جيدًا للعيش فيه، بغض النظر عن الحقيقة الحرفية لأطرها الفوقية. قد يكون هناك اعتراض على أن الحديث بهذه المصطلحات المجردة حول ما يمكن أن يفعله الدين هو مراوغة، لأن مثل هذه المفاهيم غير الحرفية لما يعنيه الإيمان تقتصر على النخبة المثقفة الليبرالية. الغالبية العظمى من المؤمنين لديهم عقائد حرفيا والتي هي بغیضة وخاطئة. هناك الكثير من الأصوليين الذين يؤمنون حقًا أن كل كلمة في الكتاب المقدس صحيحة، على سبيل المثال. لكن عددًا كبيرًا جدًا من المسيحيين المتدينين الممارسين أو المطبقين، على الأقل، غير متأكدين مما يؤمنون به بالضبط فيما يتعلق بالمسيح والله. حتى أولئك الذين يوافقون على أن يسوع هو ابن الله، على سبيل المثال، غالبًا ما يعترفون بدرجة عالية من عدم اليقين بشأن ما يعنيه ذلك حقًا. أنا شخصياً أجد نفسي في حالة من التناقض عندما يتعلق الأمر بجلاء الإلحاد. من ناحية، أجد نفسي مرارًا مفزوعاً لسماع الناس يحافظون على ما يبدو لي بوضوح آراء سخيفة عن الله وكتبه وأنبيائه. لكن، من ناحية أخرى، أجد نفسي محبطاً بنفس القدر من بعض زملائي الملحدين، الذين يبدو أنهم غير قادرين على فهم أن هناك الكثير من الدين الذي ليس من الواضح أنه زائف أو عديم القيمة. وكما قال الفيلسوف البريطاني برتراند راسل ليس ما يميز رجل العلم ما يؤمن به، بل كيف ولماذا يؤمن به. وإلا فإن معتقداته مترددة وليست عقائدية. إنها تستند إلى الأدلة، وليس على السلطة أو الحدس. في سياق هذا البحث، تعني عبارة "أن تكون مؤمناً" أن يكون لديك عقيدة دينية. لدينا جميعاً العديد من المعتقدات غير الدينية، ولكن ما يميزها عن المعتقدات التي ترقى إلى مستوى الإيمان الديني هو نوع الأسس التي نتمسك بها وطبيعة ما تدور حوله. وبالتالي، سيكون العنوان الأفضل لمقال من هذا النوع هو "لماذا لا أشارك في عقيدة دينية" أو

"لماذا أشرت في وجهة نظر طبيعية للعالم"، والتي تستنفذ الخيارات بينهما؛ إن التمسك بنظرة طبيعية للعالم يعني استبعاد أي نوع من المكونات الخارقة للطبيعة والصوفية والمتعلقة بالإيمان منها. من هذا يتضح بدوره أنه بالدين أعني الشيء القياسي وتفرعاته: مجموعة من المعتقدات في واحد أو أكثر (شخصياً بشكل عام) من المعتقدات الخارقة للطبيعة، عادةً إله أو مجموعة من الآلهة، جنباً إلى جنب مع القيم والممارسات التي يستتبعها وجود أي معتقد من هذا القبيل، مثل الآلهة وعبادتها، والخضوع والطاعة لأوامرها أو متطلباتها المفترضة، وما إلى ذلك بشكل مألوف. هناك استخدامات فضفاضة للدين، كما هو الحال في التعبير القائل إن "كرة القدم هي دينه"، وهي في أحسن الأحوال مجازية، ولكنها دائماً ما تسيء استخدام المصطلح، وبالتالي يتم استبعادها. في معناه المحوري والقياسي، لا يشير الدين فقط إلى التزام ميتافيزيقي بوجود شيء غير طبيعي فيه، أو بطريقة ما، خارج الكون ولكن مرتبطاً به، ولكن علاوة على ذلك، فإن علاقة هذا الشيء بالكون مهمة بطريقة ما - بشكل مركزي، من خلال كونه جزئياً أو كلياً خالق الكون وحاكمه ومعلمه الأخلاقي. إن معنى هذه الملاحظات هو بالطبع نظري فقط - كما هو الحال مع الكثير من الخطاب اللاهوتي والديني، من الصعب إرفاق معنى حرفي لما يُدعى، والذي يدافع عنه المؤمنون من خلال مناشدة عدم فاعلية "الحقائق" الدينية محدودية العقول في المقارنة لكنها تشير بشكل غامض إلى ما يدعي المتدينون أنهم يؤمنون به. المؤسسة الكنسية لا تختلف عن المؤسسات الدينية الأخرى لا سيما الإسلامية، فهي تلوح بشعارات المحبة والسلام لأنها ضعيفة ولا تمتلك السلطة لذا تراهم يركزون على الإحسان والسلام وحسن النية - بعيد كل البعد عن جهودهم السابقة الملطخة بالدماء لإجبار الجميع على الطاعة والخضوع. لكن هذا لا ينطبق إلا عندما يكونون ضعفاء؛ ولكن عندما يكونون أقوى أو في أعلى قمة السلطة فلن يرتدوا القفزات. تقدم طالبان في أفغانستان وداعش في العراق وسوريا مثلاً لما تميل إليه جميع الأديان في كل مكان عندما تتاح لها الفرصة: لإحكام السيطرة، وفرض السلفية والأصولية والأورثوذكسية والأورثوبراكسية. هذا ليس مجرد ادعاء خطابي: لا تختلف مسيحية محاكم النقش والكالفينيون والمتشددون في التأثير العملي عن الوهابيين في المملكة العربية السعودية أو طالبان في أفغانستان أو القاعدة وداعش في العراق وسوريا. ولا يخفي بعض أنصار الإسلام السياسي، الحريصين على عودة الخلافة، ازدراءهم "للكفار" واستعدادهم للقتل والموت في سبيل إيمانهم. حشد الغوغاء من المسلمين الذين يهتفون ويجلدون أنفسهم إلى رعا ع احتجاجاً على الرسوم الكاريكاتورية التي تسخر من نبيهم، وأعمال الشغب التي قام بها الهندوس والمسلمون بضرب بعضهم البعض حتى الموت في شوارع الهند، والانتحاريين في أي جزء من العالم: كل ذلك هو دليل على الطفولة واللاعقلانية التي يمكن للدين أن يقود الناس إليها. لا توجد ظاهرة أخرى قريبة، باستثناء حشود النازيين أو الحشود المطيعة في التجمعات السوفيتية. المقارنات ليست مصادفة. ما تشترك فيه الأديان مع هؤلاء هو أنها جميعاً

أيديولوجيات متجانسة تدعي امتلاك الحقيقة العظيمة الواحدة، والتي يجب على الجميع الموافقة عليها تحت وطأة العقوبة. التناقض هو مع التعددية، وحرية التعبير وحرية المعتقد والحرية الفردية، والمؤسسات التوافقية، وأنظمة القانون، والحقوق - باختصار، قوانين التنوير، التي لا تعتبر فيها جريمة ولكنها التزام بالتفكير بنفسها، والحصول على المعلومات، والسماح بالاختلاف، تشجيع النقاش والتسامح مع الاختلافات. هذه ليست الطريقة التاريخية للدين، أو الطريقة الحالية عندما يكون أمامها الخيار. مثلما يتنافس العلم والدين بشكل مباشر على الحقيقة الواقعية، كذلك فإن التنوير والدين في منافسة مباشرة عندما يتعلق الأمر بأنواع المجتمع المتباينة التي يتصورانها ويعززانها. لنأخذ فكرة واحدة فقط، حول النص الذي يؤسس عليه المسيحيون إيمانهم بشكل أساسي: الكتاب المقدس. في هذه الوثيقة المشوشة والمتناقضة والمغرضة، من الواضح جدًا أن يكون "الكتاب" يعود لزمان قديم مضى وولى، ومحتوى الكتاب محدود وغالبًا ما يكون غير صحيح في المعرفة والمعلومة التي يعرضها، بالإضافة إلى أنه لا يصدق إلى حد كبير (قصص المعجزات، على سبيل المثال الرئيسي)، وعلى قدم المساواة في كثير من الأحيان غير جذابة أخلاقياً، ناهيك عما فيها من حقارة في بعض الأحيان. إن القراءة المباشرة لأي من النصوص التي تعتبر ذات أهمية خاصة للأديان المرتبطة بها، مثل القرآن والفيدا، تستدعي نفس رد الفعل. لاحظ ديفيد هيوم بسخرية أن أولئك الذين اعتقدوا أن عصر المعجزات قد انتهى في أوقات الكتاب المقدس كانوا مخطئين، لأنها - كما قال - معجزة أن يستمر أي شخص في تصديق قصص الكتاب المقدس كتصارع الله مع يعقوب وشق البحر بعصى موسى ومشى المسيح على الماء وإحيائه للموتى. وجهة نظره لها كل القوة الأكبر بالنظر إلى أن القراءة الصريحة للكتب المقدسة المفترضة في العالم هي مشط قوي لأي من الأديان المرتبطة بها. أكدت دراسة الفلسفة في الغالب الاستنتاجات المبكرة لدي كثير من الناس عن خرافية التفكير الديني. بدت لهم الحجج الميتافيزيقية والبراغماتية المختلفة لوجود الإله، ومحاولات اليهودسي، وغيرها من الاعتبارات التي تدعم الدين فكريًا، كلها فقيرة، وقد اعتبرها معظم الفلاسفة منذ زمن هيوم وكانط وضيفة. لذلك كان من المحير أن بعض المفكرين استمروا في تبني نسخ معدلة من الحجج، أو أصروا على صياغة حجج جديدة. ينبغي التأكيد هنا ليس من الممكن بالطبع مراجعة هذه الحجج المعقدة هنا. يمكنني فقط تسجيل اعتقادي المدروس بأنه لا توجد حجج مقنعة لوجود الآلهة. ولا توجد أية أسباب أخرى محترمة للاعتقاد بها - رغم أنه يبدو أن هناك أسبابًا جيدة لإنكارها. هناك أيضًا مذاهب لاهوتية ترفض تصورات وجود إله: إنها تطرح كيانات تتجاوز الوجود، أو كأساس للوجود، أو متطابقة مع الوجود، أو ككائنات مقصودة لألعاب اللغة؛ على أي حال، كيانات خارجة عن الإقرار التجريبي أو حتى الميتافيزيقي. أعتقد أن غالبية المتدينين لديهم مفاهيم أقل عن العقيدة الإلهية وأكثرها شخصية؛ ولكن حتى هذه المفاهيم المجردة للغاية - أو ربما على وجه الخصوص - لا تقلت من أشد الانتقادات. المشكلة

الرئيسية ليست غياب الدليل، أو حتى الاحتمال، رغم أن ذلك سيء بما فيه الكفاية؛ يتعلق الأمر بافتقارهم إلى التماسك أو الوضوح: المفاهيم ليست منطقية حقًا. وهذا جزئيًا سبب لجوء اللاهوتيين والتابعين لهم إلى الغموض والتصور الصوفي. ليس لدي رغبة في إنكار الغموض، لكنني غير قادر على معرفة سبب وجوب الاعتقاد. الشيء الوحيد الذي ينبع من الغموض هو الجهل.

يمكن اللجوء إلى علم النفس لفهم وتفسير ظاهرة الإيمان ولكن لا يمكن لعلم النفس بالطبع دحض جميع الادعاءات الدينية، لكن يمكنه فعل الكثير لتقويض الكثير منها. يمكنه فضح الحجج من التجربة الدينية والصوفية، على سبيل المثال، ومن خلال تقديم تفسيرات طبيعية شحيحة لظاهرة التكريس الديني، تظهر فائض الأسس الميتافيزيقية. عندما تكون الحجة أو الدليل على الاعتقاد السار - على سبيل المثال - وجود الآلهة الصالحة - ضعيفًا أو غير موجود، ويمكننا الكشف عن الدوافع اللاواعية أو الخارجية الأخرى للاحتفاظ بهذا الاعتقاد، إذن، من الناحية المنطقية، نحن واعين لميلنا إلى التمني وخداع الذات، ويجب أن نرفضه. (وهذا لا يعني أن الدوافع غير العقلانية أو القذارة الفكرية التي يطلق عليها أحيانًا الإيمان لن تستمر، عند بعض الناس، في الحفاظ على الاعتقاد). علاوة على ذلك، قد تفسر نفس أنواع التفسير الطبيعي حقيقة أن بعض الفلاسفة وعلماء الدين لقد تعرضوا للخطر من خلال مثل هذه الحجج غير المقنعة والتأكيدات المذهلة التي تم تقديمها لصالح الدين. لن يكون من غير المناسب تحديد نوع التفسير النفسي الذي يدور في ذهني بسرعة. هناك جزئين رئيسيين. يؤكد الجزء الأول أن المعتقدات والممارسات والمؤسسات الدينية يمكن أن ترضي (أو تهدئ) بشكل غير مباشر الرغبات اللاواعية والتوجهات الأخرى. من الممكن تصنيف هذه التصرفات بشكل مفيد من حيث تصنيف شخصية التحليل النفسي الواسع. الترتيبات موجودة في كل مكان إلى حد ما ولكنها تختلف اختلافًا كبيرًا في الدرجة والمدى الذي يلقيون به الشخصية. فيما يلي ثلاثة أمثلة في المجال الديني. بعض التصرفات الوسواسية - والتي تنشأ عمومًا من الحاجة إلى التحكم في الدوافع الجنسية والعنصرية تجاه الأشياء (أي المواقف الأخرى المهمة)

- يمكن الاكتفاء بالإيماءات "السحرية" للطقوس والممارسات الدينية اليومية (الصلاة العادية، والاحتفالات الطقسية المتعلقة بالطعام، وارتداء الأنماط، وصنع الصليب). يتم تحقيق نوع من ضبط النفس عن طريق الإزاحة والانغماس في ممارسات صارمة ومتكررة وخاضعة للرقابة. يتم استيعاب النزعات الهستيرية لفصل الجوانب الدنيا (الجنسية، المهنية) للشخصية عن الجوانب العليا (الأخلاقية والروحية) في العمارة المانوية لمعظم الأديان. قد تكون النزعات النرجسية، التي تتطوي على احتياجات غير واعية إلى حد ما أو أقل لتشعر بالخصوصية، والقوة، والتفوق، عن طريق عضوية المنتخب أو المختار، أو الاقتناع بأن المرء لديه

علاقة حميمة بكائن كلي القدرة. كيف يتحقق الرضا غير المباشر أو التهدة؟ الإجابة المختصرة هي أن الرغبات والتصرفات اللاواعية يتم إشباعها بشكل بديل أو رمزي. 2 وركل الكلب بدلاً من لكم رئيسه هو إزاحة رمزية للغضب. لا يستطيع معظم الناس تلبية جميع رغباتهم، لكن يمكنهم تحقيق غايات بعيدة المنال، حتى تلك المستحيلة بطريقة ما، من خلال أحلام اليقظة أو الروايات أو الأفلام. على الرغم من أن الكثير من الناس لديهم القليل من الحب الأبوي، إلا أنهم قد يسكنون بامتنان في الاعتقاد بأن هناك أبا في السماء يحبهم دون قيد أو شرط. تتكون البشرية من مخلوقات أسيرة للرمز والأحلام والخيال. الأمر الأكثر لغتاً للنظر هو الطريقة التي نسعى بها في العديد من المحاولات لإعادة تشكيل عالم العلاقات بين البشر بشكل رمزي، وإشباع الرغبات القديمة التي لم تنته بعد، ولكنها الآن غير واعية. المشروع الديني لا يفلت من هذا الإكراه الشامل. في الواقع، فإن قلب الدين المؤمن هو الامتداد المنظم والمنهجي لهذا الدافع للعلاقة وإشباع رغبات البشر في البعد الروحي أو الفائق للطبيعة.

الجزء الثاني من هذا الحساب هو أن المفاهيم الدينية، من خلال إدخالها مبكراً في الاقتصاد العقلي للطفل، تدخل في تكوين العقل، وتشكله بشكل أساسي، وتخلق بعضاً من الاحتياجات التي قد يلبيها الدين بشكل غير مباشر. إن جاذبيتها وقوتها التحويلية تنبع من قدرتها على تلبية بعض الاحتياجات والرغبات الملحة للطفل. التدريس الديني حول كائنات قاهرة ومحبة بلا قيد أو شرط والتي من الممكن أن تحافظ معها على شكل من أشكال العلاقة أو الهوية - مثلما قد يفعل المراهق لاحقاً مع مغني البوب أو البطل الرياضي - يمكن أن يكون داعماً ومريحاً، خاصة للطفل الذي يشعر بأنه غير محبوب أو مهجور. لكن مثل هذه التخيلات لا تلبي الاحتياجات والرغبات فحسب، بل إنها قد تشوهها أيضاً وتخلق تصرفات مرضية أخرى. قد يفرضون، على سبيل المثال، على الاقتصاد النرجسي لتقدير الذات والسيطرة المطلقة ويقودون إلى دمج تمثيل الله (جنباً إلى جنب مع تمثيلات الشخصيات الأبوية المثالية ومفاهيم الذات) في الذات المرضية العظيمة. في الطرف الآخر من الطيف، عندما يقصر المؤمن في نظر تمثيل مثالي ونموذجي عن الله، فإن الاقتناع بأنه خاطئ لا يمكن تعويضه قد يؤدي إلى مشاعر مزمنة بعدم الجدارة والذنب. كلاهما شرطان تم تصميم المؤسسات والممارسات الدينية خصيصاً لاستيعابها وتهدئتها جزئياً. وهكذا يمكن أن تصبح المفاهيم الدينية متماسكة مع علاقات كائن مبكرة بها تخلق التراكيب الوهمية والفواصل الدقيقة التي غالباً ما تكون سمات للعقل المتدين. 3 هذا التطور اللافت للنظر يفسر ظاهرة مفادها أن العديد من المتدينين يمكن أن يكونوا موجّهين للواقع في معظم جوانب حياتهم ومع ذلك يحتفظون - في حجرة منفصلة، كما كانت - بأكثر المعتقدات والمواقف غرابية وغير عقلانية في التزاماتهم الدينية. رغم ذلك، بالطبع، ليست هذه هي الطريقة التي يراها المتدينون أنفسهم. يثير تشبيهه



الإيمان الديني بهذه الطريقة المؤهلة بعلم النفس المرضي التساؤل عما إذا كان الملحدون، أيضًا، قد لا ينبثقون أيضًا من شيء يشبه الجذور النفسية المرضية. في بعض الحالات يفعلون ذلك بلا شك. هناك حالات مألوفة يكون فيها الدافع للإلحاد يتضمن إسقاط صورة كائن أبوي مكروه أو بعض جوانب الذات على تمثيل الله - بالنسبة للطفل، الوالد هو كائن يشبه الإله - والمشاعر اللاحقة بالاضطهاد تتحرف عن طريق إنكار الإله. بالتأكيد، في الأزمنة السابقة، عندما كان المعتقد الديني هو القاعدة التي لا جدال فيها تقريبًا، كان الإلحاد يُعتبر شاذًا غريب الأطوار ومروعًا. كتب يوربيديس: "بالقرب من الجنون يوجه من ينكر أن المدينة يجب أن تكرم الآلهة".

لكن بشكل عام الإلحاد والإيمان بالله الواحد ليسوا على أربع دوافع - ناهيك عن المعرفية أو الميتافيزيقية 4. لملاحظة اختلاف مهم واحد فقط: الإيمان هو الدافع إلى حد كبير من خلال السعي إلى العلانية الموضوعية لملء الكون، كما كان. بعد ذلك، بوجوه ودودة. إنها مؤسسة ذات أسس مفهومة جيدًا من الدوافع وعلم أمراض تلك الدوافع. الميتافيزيقيا، التي هي إلى حد كبير انعكاس لعلم النفس الخاص بها، هي باهظة بشكل غير عادي. الإلحاد مقتصد ومحافظ ميتافيزيقي. لا تقدم المطالبات الوصفية المادية؛ بل ترفض قبولها. إذن، باختصار، الإلحاد لا يعطي النزعات والتخيلات اللاواعية الكثير للبناء عليها؛ لا يوفر المواد المنظمة بشكل منهجي اللازمة كسقالات للتطور النفسي شبه المرضي، بالطريقة التي يقدمها الدين؛ لا يحفز مثل هذه التصرفات والتخيلات؛ إنه لا يدخل مبكرًا في الحياة في دستور العقل.

لقد أوجزت بعض الاعتبارات التي أثقلتني، لا سيما تلك التي تهدف إلى تبديد إغراء المعتقد الديني الذي يمكن أن ينشأ حتى عندما يتم الاعتراف بفقر أسسه بشكل واع. شددت على أن علم النفس لا يمكنه دحض كل الادعاءات اللاهوتية. سؤال مثل ما إذا كانت هناك آلهة لا يمكن تسويته بشكل نهائي إلا على أسس علمية أو ميتافيزيقية. (تعتبر الحجج من الوحي والتجربة الدينية ضحية سهلة للاعتبارات المعرفية والنفسية الأولية. إن مجموعة الحجج الموضوعية تحت عنوان "الإيمان باللعبة اللغوية" وبعض مزاعم ما بعد الحداثة ذات الصلة ليست اعتبارات تمس حقيقة الآلهة على الإطلاق، كما تم تصورها تقليديًا.) لكنني حاولت أن أبين كيف أن الاعتبارات النفسية لا تترك الادعاءات الدينية كما هي. قد يكون من الصعب للغاية التخلي عن بعض البديهيات: حول مكانة المرء في نظام كوني ذي مغزى، على سبيل المثال، أو الإحساس الحميم بعلاقة وقائية مع كائن يدفع المرء إلى التفكير فيه على أنه خارق للطبيعة. إن الجدل الفلسفي حول الآلهة والدين يكون أحيانًا مدفوعًا حقًا بمثل هذه البديهيات والالتزام، دون حل، بسبب عدم القدرة على التخلي عنها. لكن بعض البديهيات ليست سوى نوع من التحيز - أحكام غير مدروسة بالأدلة - تدعمها احتياجات لاواعية عميقة، ويمكن التحرر من الإيمان، وحتى الجدل الفلسفي، من خلال كشف

تلك الاحتياجات والاهتمام بها بعناية. لماذا قد يؤمن الناس بالله، في ظل ندرة الأدلة على مثل هذا المخلوق؟ يبدو لي أن هناك سببان محتملان. أولاً، لأن الأطفال لا يتم تعليمهم عموماً للمطالبة بأدلة جيدة للدعوات - وفي الواقع غالباً ما يتم تثبيطهم عن تقديم هذه المطالب. ثانياً، نظراً لوجود العديد من الاحتياجات التي لم تتم تلبيتها، يصبح الناس عرضة للانتباه والوعد بالسعادة في المستقبل. فلماذا لا تؤمن بالله خارق للطبيعة (أو بدين يتوافق معه)؟ لأن أياً من هذه الشروط لم تصمد بنظري. بعد كل شيء، لماذا قد يكون من المفيد تحميل الأطفال السذج بمعتقدات نعرف أنها ليست صحيحة؟ خاصة إذا كانوا يغرسون الذنب والخوف من وظائف الجسم مثل الجنس؟ أو حيث يضررون المؤمنين ضد جماعات أخرى ذات ممارسات مختلفة؟ لا الإيمان بسانتا كلوز أو بابا نويل ولا قبول القصص عن جنية الأسنان يفعل هذه الأشياء، والأطفال ملزمون عاجلاً أم آجلاً بمعرفة الحقيقة عنها - على الرغم من أنه ربما لا يخلو من بعض فقدان الثقة في والديهم. لماذا لا نعلم الأطفال بدلاً من ذلك التفكير بشكل نقدي منذ البداية؟ يمكن للأطفال أن يكونوا مفكرين عقلانيين للغاية، يحتاجون - فقط لاستخلاص مواهبهم وصقلها بالممارسة. لديهم القدرة على الدهشة والرغبة لا تحتاج إلى معجزات ولا جنة ولا جهنم: سيكون من الأفضل بكثير، على أي حال، تعريفهم بروعة العالم الطبيعي والسوبرنوفات - المستعرات العظمى، الأكوان البعيدة، الأخطبوط العملاق، الثقوب الدودية والثقوب السوداء -، الديناصورات، تشريح الإنسان - تشجيعهم على التقدير ومعرفة المزيد عنها.